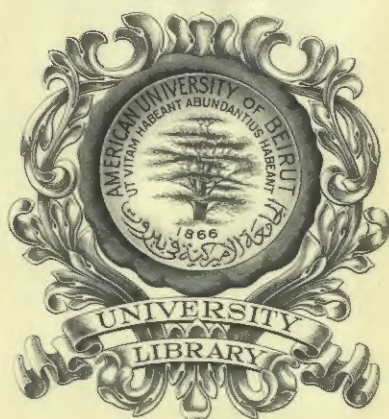
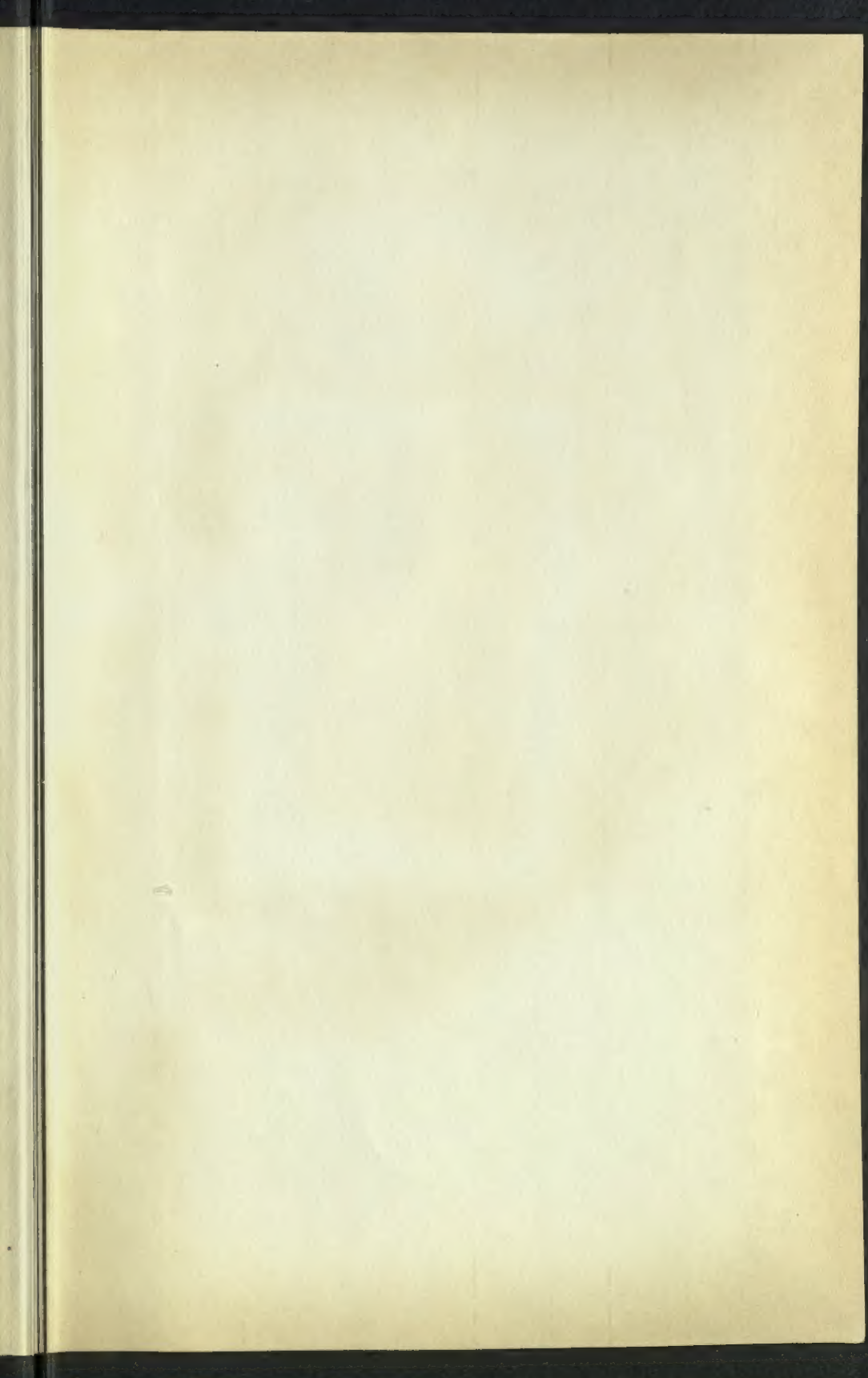


AMERICAN
UNIVERSITY OF
BEIRUT







مكتبة
مجلس

تحت

مجلس

مجلس

مجلس

مجلس

مجلس

مجلس

مجلس

مجلس

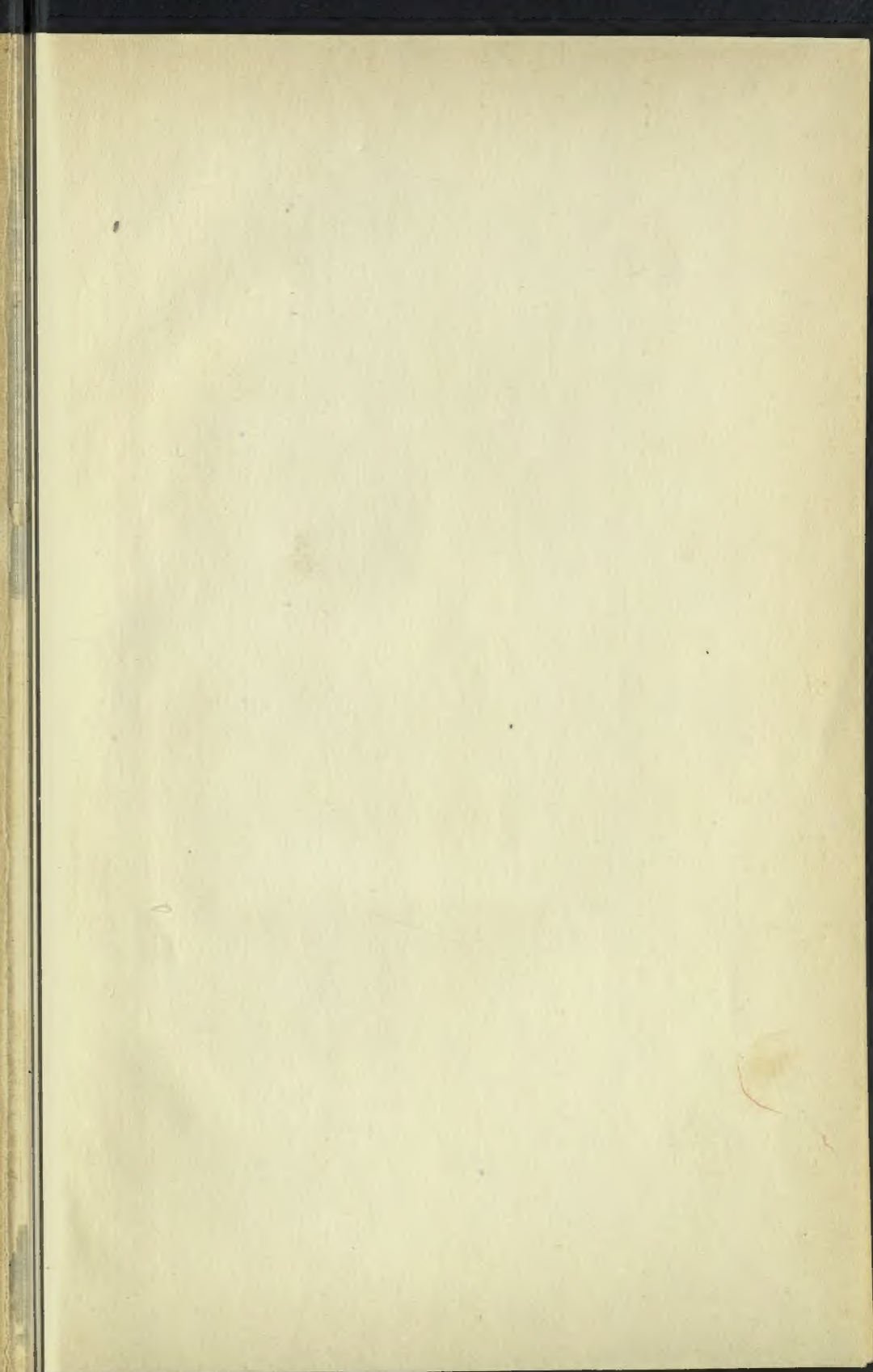
مجلس

مجلس

مجلس

مجلس

مجلس



956.9

A1625A

C.I.

عمر أبو النصر

سيرة ولبنان

حتى اول

القرن التاسع عشر

وبلغها فصول عن تاريخ العرب والاسلام

وضع القسم الاول من هذا الكتاب وفقاً لبرنامج وزارة المعارف وعرض على اللجنة المختصة
لدرس الكتب للمدارس الجمهورية اللبنانية وايدت الحكومة اللبنانية قرار اللجنة
بقرار رسمي غرو ٣٨١١ بتاريخ ٢٥ ايار ١٩٢٦

— الطبعة الثانية —

مترجم برسوم تاريخية اثرية جديدة

77621

١٩٢٧ * مطبعة وزنكوغراف طباره * بيروت

الاهداء

اقدم كتابي الاول في عالم التأليف
الى «والدي» الكريمين اللذين ربياني صغيراً،
وسهرا عليّ يافماً وفقياً، هدية من صغير الى
كبار، واعترافاً مني بفضل عظيم طوقاني به
وما برح انطوقاني به حتى اليوم.

عمر ابو النصر

مقدمة الطبعة الاولى

ارادت وزارة المعارف ان تكون صلة بيني وبين المتأدبين من شباب هذا البلد بأن تنشر بينهم هذه الدروس التاريخية ، وان تحملهم على درسها وتنهجها ، فمن الحق ان ابدأ بكتابي الاول بتقديم اجملي الشكر لجامعة الاستاذ الجليل محمد الجبر ناظر المعارف السابق ورئيس مجلس الشيوخ الحالي لما تفضل به من ايجاد هذه الصلة ، ولما وُفق اليه في اخراج هذا الدرس المتمم الجديد من تاريخ هذا القطر الطيب

تقدمنا الى الاستاذ الجليل بوضع هذا الكتاب وفي نفسنا ما في نفسه من جلال العمل فعبد الفكرة ، فامضينا امره وصرفنا اشهرآ في تأليف هذه السلسلة ، ونحن حريصون جد الحرص على ان يجد فيها العامل والتاجر والاديب والطالب غنائهم ، يقتصرون عليها دون المطولات ويقرأون هذا الكتاب عربياً صرفاً خالصاً في انشائه وتراكيبه من شوائب المجمة والتعقيد فهو في سهولة مبارته وطريف اسلوبه وقرب تناوله ، عمل صغير ، لفتيان في روعة الشباب

ولقد اجاهد نفسي جهاداً شديداً لآمنها من تبيان ما لهذا العمل من خطر ، وما له من فضل ونفع ، ذلك ان هذه السلسلة نفسها ستظهر للناس هذا النفع وهذا الخطر ، وحسبنا بياناً اننا سندرس في هذه الصفحات تاريخ العصر العربي السوري وما اعترضه من ضروب التطور والوان الاستعالة والرقى منذ اول مهده بالحضارة حتى انتهى الى حاله الحاضر

هذا الكتاب اول السلسلة وهو عملٌ بذلنا فيه غاية ما استطعناه من الجهد سواء قل في فضلنا او كثير . فلقد اخذنا البحث باطراف موضوعه وتكلمنا فيه في كل موضع على وجهه الانسب فتصرفنا في مختلف الآراء ومتفرق المباحث تصرفاً ارشدنا اليه العقل تحكّمه في استخراج الحقيقة الشاردة لارجعها الى اصلها عاملين على الباسا لباساً اقل ما نقدر ان نقول فيه انه عربي مبين . وليس هذا العمل بالضئيل او بالامر القليل ذلك انه اذا حالت الحوائل بين الكاتب والعمل فنمته من ان يعمل عملاً اصيلاً وان يقول قولاً جديداً فلا اقل من الكلام الحسن يجري به يواحه على قرطاسه بلغة فصحي وبيان جلي .

ليس التاريخ قصة قديمة ، وخبراً سالفاً فحسب ، بل عظة رائعة ، وصورة حقة لما
كانت عليه الحياة عهد الآباء والاجداد ، في العلم والسياسة والصناعة والزراعة والادب
والاجتماع .

ولقد ذهب المؤرخون مذاهب في تعريفه لا اردد ما قالوه ، ولا انقد ما ذهبوا اليه ،
فقد اعود لهذا في كتاب قادم ، وانما اتقدم برأيي وهو اختبار نفسي ، فان لم يكن
الحقيقة كلها او أغلبها فهو بعضها ، التاريخ وصية السلف الى الخلف ، ان احسنوا
فدعوة لاقتفاء الاثر حتى الكمال ، وان اساءوا فعظة ودمعة الى الاصلاح ، والعمل
النافع .

حسب الشباب هذا اليوم ، لكل حادث حديث ، وحديث الكتاب القادم ازمى
لونا واغزر مادة ، واوسع بحثاً وابعد فوراً واوضح مذهباً وبياناً .

عمر ابو النصر

بيروت في ١٥ تموز سنة ١٩٢٦

الضجة حول كتاب سوريا ولبنان

تحدث اليّ صديق من اخواني على اثر الضجة التي قامت حول كتابي فقال « لك اسوة بالاستاذ الدكتور طه حسين بمصر فلقد عرضت بعض الصحف بكتابه وتأول بعض الكتاب مؤلفه فادعوا انه منسوخ . وقالوا انه قد اخطأ وضل . وليس في هذه الضجة ما يضير طه حسين ولا كتابه . فسيخرج طه حسين منها اكثر شهرة واغز مكاناً »

قلت « انهم يأخذون على الاستاذ طه حسين تحامله على بعض المعتقدات الدينية وانكاره بعض النصوص القرآنية وليس في كتابنا شيء من هذا ، اللهم الا ان يكون ما ذهبنا اليه من ولادة المسيح في ضواحي الناصرة وما اعتمدناه في ترجمة (جان دارك) من انها رأت في مايرى النائم ملاكاً يأمرها بانقاذ فرنسا فكان من ذلك الضجة التي اثارها اليسوعيون وتابعهم فيها بعضهم وحببنا في هذين الحادئين كتب تاريخية افرنسية وانكليزية تعد من اعظم مصادر التاريخ في العصر الحاضر ثقة وشهرة ولقد اكون من اسعد الناس بمناقشة الخصم الشريف يتحدث اليّ بالنقد الشريف . ومن اشدّهم نكراً على النذل يحرف الكلم عن مواضعه ويبتدع الشبهات في تحريف النصوص التاريخية

اجل كنت اكون من اسعد الناس لو عرفت ان نقادي لهم المام بموضوع الكتاب . اذاً لا ريتهم ان الكتاب لا يحتوي على ما يعدونه عليّ خطأ وما يتعاملونه من نقد انتقد الكتاب اربعة نفر هم الاب لويس شيخو . والاديب بطرس البستاني . ويسومي مجهول الهوية والمقام فروخ . وانتقد الكتاب الثلاثة الاول لاغراض في النفس فقد يشق على اليسوعيين ان يقوم احد المسلمين بعمل فاجح ويسوءهم خصوصاً ان يقوم هذا المسلم بوضع الكتب المدرسية . يزاحم بها كتبهم وهي هدم التجارة الراجعة ويشق على الاديب البستاني ان يكون لنا في النظم والنثر غير مذهبه ، واما رابعهم فلا

ندري ما حمله على نقد الكتاب خصوصاً وأنه حرّف وبدل وحور وخطأ في الترجمة .
ولعل اعجب ما في هذا الحادث من عجب وسخف امتداد يد القدر الى مثل هذا
الفرخ ترفعه من حيث كان لا يعرف أشرق الشمس في السماء ام في الارض . ويعبر
البحر بالطول ام بالعرض الى الكتابة في الصحف والتعرش بالكتب

هذه ضجة لا زيد ان نعيدها جزءاً وانما نرغب في هذا المقام ان نتحدث الى الاب
شيخو بانه قد اخطأ في نقده وضل في مقاله . وان ماسعى اليه من تشويه الكتاب والكتابة
بمؤلفه ، امر يقصر عن دركه فليس يحفل الناس ان الاب شيخو اوسع الكتاب ذممة
وارحبهم صدرأ لكل رأي سخيف . في التاريخ والادب وهم يشكون في نقده
ويتأولون اخلاصه وقد ضربوا المثل بكتابه شعراء النضرائية في الجاهلية بانها مجموعة
خدع واضاليل ونحن نبشره ان الاجيال القادمة ستقرأ مؤلفاته كما تقرأها اليوم الحاضرة
للتفككة والتسليية كماهاها من قصص الزير وعتر وابو زيد الهلالي

نقول هذا ، وننظر في نقد الاب شيخو لكتابنا في مجلة المشرق فنقول

١ - عجب الاب شيخو كيف يكون الانسان الاول ابكم لا يفرق بين الجهاد
والحي ويعتقد بالحياة والموت . وليس في هذا عجب فقد كان الانسان يدفن امواته
ومعهم الانية والطعام ، وهو لا يكاد يعرف النطق فذهب الموءرخون الى انه يعتقد
بالحياة بعد الموت ، وكان الانسان الاول يعتقد ان في الحجر الذي يقع من الجبل اله
الارض روحاً شريفة فيهرب منه ، وكان يظن ان في تلاطم امواج البحر روحاً تعمل
لاهلاكه فيذهب بعيداً عنها .

٢ - قلنا تحت صورة الفارس الصليبي عن امبراطور الالمان الذي حرمه البابا
غريغوريوس السابع انه اضطر الى الوقوف بباب البابا في رومية ثلاثة ايام بلياليها طالباً
الصفح والمغفرة ، فقال الاب شيخو ان هذا كذب ، ونحن لا نرى في هذا التكنيد خير
ما رآه غيا كبتناه وليأتنا بمؤرخ واحد انكر هذه الحادثة التي هي اشهر من تاريخ
علم في كتب التاريخ

٣ - ورأى الاب شيخو مناقضة في هذه الجملة ونحن لا نرى فيها شيئاً من هذا
وهذه هي « اما سكان سوريا فساميون قطعاً نزلها الساميون من جزيرة العرب منذ اول
ههدها بالحضارة ، وكان البابليون يحكمونها قبل نزول الساميين فيها - اي قبل هذا

العهد - فإين وجه التناقض في كلامنا هذا ؟ ؟

٤ - قلنا ان الحثيين وهم قبائل متوحشة نزلوا سوريا في القرن الرابع هـ شرق قبل المسيح ، فانكر الاب شيخو ان يكونوا قبائل متوحشة ، ونحن لم نقصد بهذا الا التأكيد بما عرف عنهم من مضاء الغزوة والرجولية وجب الكرو والفر والخصام ، وهم لما نزلوا على المستعمرات المصرية ، كانوا متوحشين بالنسبة الى المصريين ، وما اكتشفه العلماء من تمدنهم قليل نذر ولا يرجع تاريخ الاثار المكتشفة الى ما قبل القرن الثالث عشر ، وكلها تدل على تمدن عملي جاف ، هذا الى ان لغتهم لم تفتح طلائعها للمؤرخين حتى اليوم .

F. Hrozny, cod Hitite, paris 1922

E. Pottier, l'art Hitites dan la revue (syria) 1920

٥ - عجب الاب شيخو كيف جعلنا الرئاسة للفينيقيين على البحر منذ اربعة الاف سنة ثم قلنا ان السومريين نزلوا الى خليج العجم من الدجلة والفرات « زوارق تجارية » ولا ندرى وجه الانتقاد في هذا الرأي فلقد ذهب العلماء انه كان للسومريين زوارق قبل الفينيقيين ، ولكن الفينيقيين بزوم في صناعة الابحار .

٦ قال الاب شيخو اننا في فصلنا السابع عن سوريا في عهد الرومان « ص ٣٠ - ٣٣ » حصراً هذا العهد بين سنتي (٦٠ - ٩٠ م) وكل يعلم ان سوريا بقيت تحت حكم روميه الى ان خلفها الحكم البزنطي في اواخر القرن الرابع واعتراض الاب صواب ولكنه لو كلف نفسه عناء النظر الى الفصل التالي لراى اننا بدأنا هذا العهد البزنطي بهذا التاريخ ٣٩٧ - ٦٣٤ ، اذا فرم « ٣ » قد سقط سهواً في المطبعة

٧ - اما انتقاده تاريخ وفاة فساجيان فصحيح وهو خطأ مطبعي اصلح في باب الاغلاط المطبعية . وكذلك الخطأ في اسم الرسولين بطرس وبولس .

٨ - يقول الاب شيخو اننا ننقل ما لا نفهمه ولا نعقله . واستشهد بهذه الجملة من فصل عن مدرسة بيروت الحقوقية (وكانت اللغة الارامية ترداد انتشاراً ومدرسة بيروت الحقوقية تزيد رقياً وشهرة وكانت اللاتينية لغة التدريس) وتساائل عن علاقة انتشار اللغة الارامية ومدرسة بيروت الحقوقية ولغة التدريس فيها ؟ ونحن نرى كل العلاقة في هذه الجملة فقد كانت الارامية تنتشر في سوريا وكانت اللاتينية على الرغم

عن كل ذلك لغة التدريس في مدرسة بيروت الحقوقية فاين التناقض ؟ اليس
الانكليزية اليوم اكثر انتشاراً من اللغة الافرنسية واليس اللغة الافرنسية اللغة الدولية
الرسمية ؟؟

٩ - اما تل العماره ، او تل العمارنة كما يريد الاب شيخو فهذا اختلاف بسيط
وبعض المؤرخين يفضلون الاول لانه اخضر

اما ان عهدا يرجع الى القرن الرابع قبل المسيح فلا لان اكثر المؤرخين اجمعوا
على القرن الخامس عشر واقد سقطت كلمة عشر هنا في كتابنا ، ولكن الجملة التي
تلي تصلح هذا الخطأ المطبعي اذ تقول . وكانت سوريا في هذا العهد تحت الحكم
المصري . والحكم المصري في سوريا كان في القرن الرابع والخامس عشر

١٠ - اما ما قلناه عن الحروف الفينيقية واللغة الفينيقية فنو . كده ونقره ولو ان
الاب شيخو لا ينكر هذه الاقوال ولكنه يقول انه فيها لغطاً . اما وجود تاووس
في جبيل وعليه حروف فينيقية ترقى الى القرن الثالث عشر قبل المسيح . فهذا
ان صبح حادث جديد . ولا يسعنا ان نويدنه في كتابنا حتى يقره علماء الآثار والمؤرخون

...

ولقد كنا نتمنى لو كان بالامكان ان يكون مدرس البيان ومؤلف الكتب
المدرسية وناسر المؤلفات التاريخية في كلية اليسوعيين اصدق حديثاً واصح رواية واعف
نقداً ، وما يهنا ان لا يكون كذلك لولا انه مدرس والمدرس يطبع النشي . بطابعه ،
ويتمسب الى النفوس المرنه خلقه واسلوبه ومنهاجه نقول ذلك ، ولا نؤاخذه - انكم
هينكم ولي دين - ولو انا اخذناه على تضليله وخطئه ، ولو اردنا ان نفند اقواله ونترسم
مؤلفاته بالصحيح والتتبع لما بقي شي . في الوجود اسمه الاب لويس شيخو .

عمر ابو النصر

القسم الاول

سوريا ولبنان قبل الفتح العربي

الفصل الاول

سوريا ولبنان في فجر التاريخ

بدء التاريخ - الانسان الاول - نشوء الحياة الزراعية

تطور الفكرة الحكومية - قيام الدول والممالك

الانسان الاول

ليس الانسان الحاضر، ابن ساعته، هو عمل عصور، فجهود شعوب توزعت على مقدراته، فكيفته وثقافته وهذيبته وشذبت من اطواره وافكاره ومظاهر حياته، حتى اخرجته الى الناس في القرن العشرين مثقفاً مهذباً مصقولاً

بدء الحياة الزراعية

كان هذا الانسان في اول امره وبدء حياته عارياً وحيداً، لا يكاد يفهم من مظاهر الحياة شيئاً، ولا يكاد يتذوق من مفاخر الحضارة امراً؛

يعيش لنفسه مع عائلته فقبيسته ، وكان يتوسل الى معالجة شؤون معاشه بالصيد تارة ، والاثار اخرى ، وظر على هذا العيش مدة من الزمن حتى عرف الزراعة ، واضطر بحكم هذه العائنة الجديدة الى الاستقرار في مكان واحد ، واحتاج بطبيعة الامر الى حكومة تحرس له حقوله ، وتمنع عنه عدوان جاره ، فافاء بهذا الشارد النافر يستقر مكانه ، بعد ان تجول اجيالاً في الغابات والصحراء ، ويعمل على تأسيس مزرعة صغيرة هي اول منظر من مظاهر الحضارة في تاريخ الانسان القديم .

تأنيق المقاتلة

استقرت جماعات من بني الانسان في الاراضي الزراعية في ازمان مختلفة - ليس هنا مكان التثبت من تاريخها لكن ما يهتد منه ان نسبة الماما - وظل غيرها جموعاً الا ، فكان من هذا في تاريخ الانسان ان تقدمت امم وتأخرت شعوب وان اخذ القوي المتحضر يستمد الضعيف المتوحش ، وما التاريخ الا عبارة عن هذا النزاع المتعدي في مختلف مظاهره ، قوي ينبغي التوسع ، وضعيف يقف متخاذلاً في سبيل الحياة ، واحكم للقوي فكان لا بد للضعيف من احد امرين اما ان يسبح متلمساً سبيل المتقدمين من الشعوب ، او ان يظل مكانه فتدتهمه جيوش الحضارة القوية والعنصرية المتحدة

نشوء الحكومات

ولما استقر الانسان في الارض تفتحت امامه سبل كثيرة في الحياة ، فاخذ يزاع واخذ يني الماشي ، واخذ يحيك الثياب لنفسه وعائلته ،

واخذ يبنى لنفسه البيوت من غصون الاشجار يمزجها بقليل من الماء والتراب ، واخذ يعيش جماعات جماعات مع طوائف من ابناء جنسه يحكم كل طائفة او قبيلة زعيم او شيخ يرجع اليه افرادها في مخاصمتهم ومنازعاتهم ، حتى تجيش المطامع والاحلام في صدر احد هؤلاء الزعماء المشايخ فيتغلب على مشايخ القبائل حوله ، يردهم الى سلطانه ، متوسلا الى ذلك بالقوة والحيلة ؛ فاذا استتب له الامر فانت امام حكومة جديدة ، ودولة حديثة وليس يختلف نشؤ الحكومات في مصر وبابل واشور وبلاد فارس عن هذا ، قامت الدولة الاولى في مصر منذ ستة الاف سنة ، وكانت مصر قبل ذلك طوائف تفرق بعضها على بعض حتى قيص لها التاريخ رجلاً من ابنائها شديد المراس ، قوي المطامع ، قضى على خصومات زعمائها بالقوة ، وضم مصر فأسست فيها اول دولة متحدة عرفها التاريخ

تاريخ سوريا

وكانت سوريا في كل ادوار تاريخها سبيلاً للفتح وطريقاً للغزو ، من رام من دول الشرق القديم فتحاً اضطر مكرهاً ان يهبطها غازياً ، يستذل سكانها ، ويستعبد امراءها ويفرض عليهم الجزية عنوة واقتداراً

وليس ذلك فقط بل انقسمت سورية بعضها على بعض فكان لكل مدينة اميرها ، ولكل شعب تقاليد وحاكمته ، فاعجب بعد هذا ان لا يكون لسوريا تاريخ خاص بها ، جامع لحوادثها لفقدان الصلة التي تربط الحوادث بعضها ببعض ، ولأن التاريخ يقوم عادة بالاثار التي تتركها

الشعوب والحكومات ، وهذه الآثار مفقودة في سوريا ، اللهم الا القليل ،
تركها فيها من استولى على هذا القطر من الدول القديمة والشعوب المتوسطة

...

اسئلة

- ١ - كيف كان بدء الحياة الزراعية ؟
- ٢ - ما تفهم بتنازع البقاء ؟
- ٣ - كيف نشأت الحكومات الاولى ؟
- ٤ - هل لسوريا تاريخ خاص بها ؟

الفصل الثاني

القطر السوري ولبنان

وصف جغرافي ، زراعي ، سياسي

جغرافية سوريا

سوريا بلاد جبلية ، تقسع في الشمال الغربي من الصحراء العربية ،
وشرقي البحر المتوسط وهي تمتد على شواطئه مسافة تقرب من اربعمئة
ميل طولاً ومئة عرضاً

اما حدودها فالبحر المتوسط غرباً ، وبادية سوريا شرقاً وجبال

و مبال البختاري في الحال الشرق، و فليج العجم،
و فليج الحقة، و فليج جزيرة قبرص،
تأثير الاقليم والارض

طوروس شمالاً ؟ وبادية سينا جنوباً ، وهي اشبه بالجسر يمتد بين اسيا
الصغرى ، وبين ما بين النهرين ومصر ، ويحصر عنها بلفظ عام الهلال
العربي الخصيب من نغمات فزيرة قبحهم .

ولقد اكبر المؤرخون في هذا العهد مال الاقليم ولطبيعة الارض من تأثير في السكان ، فان كانت البلاد جبلية كثيرة المنعرجات كان لا بد لسكانها تأميناً لمعاشهم من جهد ومشقة ، وكان لا بد لهم من الانصراف الى لون من الحياة لا يساعدهم على التشقق ولا يحملهم على العلم ؛ فلا تعجب بعد هذا ان يكون السوريون عالة على غيرهم في العلوم والمعارف ولا تستكبر ان لا يحمل لك التاريخ في ثناياه مدنية سورية راقية مستقلة او علماً سورياً طريفاً

وكانت الارض نفسها تساعد على التجزئة ، وتعمل على الانقسام
فقد كان يسهل على السوري كثيراً ان يعيش وحده لا يعوز احداً ، ولم
تكن طبيعة الارض تتطلب عمل الجماعات الكبيرة كما هي الحال في
اشور وبابل ومصر ، بل كان من السهل على السوريين ان يأتوا باحسن
النتائج اذا عملوا جماعات صغيرة متفرقة ، فكثرت الحكومات ، وتعددت
الجماعات ، وعاش كل مستغنياً مستقلاً

وكان على السوريين ان يظلوا متيقظين ، حريصين على بلادهم ،
ذلك انه كان على مقربة منهم دول قوية وقبائل عظيمة ، ومع انهم
اضطروا في بعض الاحيان لأن يخضعوا لحكم الدول الشرقية القوية فان
روحهم كان حراً ، وثوراتهم كثيرة وعديدة

التجارة السورية

وكان للتجارة شأن عظيم في تاريخهم فقد انصرف سكان الداخلية للتجارة بواسطة القوافل وعمل اهل الساحل على ارتياد البحر فكانوا تجاراً مستعمرين ، وساعدت سوريا سكانها ، فقد كانت واقعة على ممر طرق ثلاث وعلى مقربة من البلاد التي قامت فيها المدنيات الاولى

وكان هذا القطر معين الحدود فالبحر والصحراء والجبال تحيط به من جميع اطرافه ، وخلقت الطبيعة فيه الكثير من الحواجز الطبيعية ، فكان لذلك اثر عظيم في اختلاف الشعوب وتباين السكان الذين سكنوه قديماً وحديثاً تربية وثقافة وسياسة

وسوريا بلاد تكثر فيها البراكين خصوصاً في جهات حمص وحماه ، وحوالي سنة (٤٠٠٠ - ٣٠٠٠) قبل المسيح كانت الاحراج تغطي وجه الجبال حتى شامي . البحر وكانت الحيدانات الضارية تأوي الى ربوعها

سكان لبنان الاول

وكان سكان لبنان الاول من الصيادين ، ولم تكن سوريا غنية بغاباتها اثارت ثروتها الطبيعية حسد جيرانهم ، فهبط عليها فنحانير ملك واحد ، من ملوك الشرق القديم ، ولم تستصت الاحراج في سوريا ، كثرت فيها الفاكية وصيدان الزيت والزبيب والتقميح من اهم صادراتها ، ويقول بعض المؤرخين ان اسم الزيتون من سوريا فان لم يكن منها فقد انتشر عبر شواطئ البحر المتوسط الى ان ذرع

في ارضها وعرف سكانها ثمره^(١)سوريا القديمة^(٢)

اما سكان سوريا فساميون قطعاً . نزلها الساميون من جزيرة العرب منذ اول تهدها بالحضرة ، وكان البابليون يحكمونها قبل نزول الساميين فيها سنة ٣٠٠٠ - ٥٠٠ ق.م. ، وكان ذلك بدء عيدهم بالتوسع والملك وهم شعب تغلبت عليه تعنصرية السامية وكان تأثيرهم في سوريا عظيماً في اللغة والتقاليد ، وفي الآثار المكتشفة حديثاً ما يدل على ان بعض ملوك بابل كانوا يسمون الالخشاب من جبال لبنان الى بلادهم

ونزل الساميون بعد هذا العهد على سوريا والعراق وهم بدو رعاة يعيشون عشائر وقبائل يزعمون اكبرهم وحانتهم الماضية لا تختلف عن حالتهم الحاضرة اللهم الا قليلاً وكان الاموريون اولهم ثم تسال الاراميون بعدهم الى البلاد فقصوا على الساطرة البابلية في سوريا واخذوا ينشئون المدن فيها وكان انصارهم قد بنفروا دراسة رفيعة من التمدن والصناعة والقوة فهيمنوا على الشرق القديم ، امعوا فيه فتحاً وغزواً فسقطت سوريا امامهم بعد مقاومة قليلة ، وكان الحكيم المصري في سوريا سبي لادارة قاسياً شديداً فثار السوريون غير مرة على حكامهم بيد ان ذلك لم ينجدهم فتيةً الا لانقسامهم وفتنة قومه

(١) كان سكان لبنان اول يقيمون في المربع القريبة من السهول الواسعة والشواطئ البحرية كركس نهر كلب ، فون حبان في مغاور قريبة من رابيع المياه سرترون من بيد الوحوش ولاسك ، ودر يفتان رعد فالحجر ولحوم الوحوش البرية

(٢) قبل حكم البابلي ثم مصري في سوريا من سنة ٢٥٠٠ - ١٤٠٠ قبل المسيح

ولما تقدم الحثيون في القرن الرابع عشر قبل المسيح وهم قبائل متوحشة من شمالي اسيا الصغرى الى سوريا وفلسطين وكان الحكم المصري قد تغلب عليه الضعف والفساد وجدوا سوريا مجزأة بعضها على بعض فافتتحوها عنوة بمساعدة بعض امرائها لهم . وكانت السلطة في سوريا يومئذ للملك مصر ، إلا ان هؤلاء كانوا ضعاف الادارة قليلي الحزم . فلم يعملوا على رد هذا الفاتح الجديد الذي انشأ في سوريا دولة جديدة على انقاض الدولة المصرية

...

اسئلة

- ١ - صف موقع سوريا الجغرافي ؟
- ٢ - لماذا لم تقم في سوريا مدينة راقية ؟
- ٣ - قص علينا تأثير الاقليم والجغرافية السورية على السكان ؟
- ٤ - من كان اول سكان لبنان ؟
- ٥ - بماذا اشتهر السوريون ؟
- ٦ - ما تأثير البحر على سكان الساحل ؟
- ٧ - ما تعرف عن تاريخ سوريا القديمة ؟

الفصل الثالث

الفينيقيون في لبنان والسواحل

البحر والإبحار - المراكب الاولى - التجارة الفينيقية
علاقة المدن الفينيقية بعضها مع بعض

الفينيقيون في البحر

نزل الفينيقيون السواحل السورية من الشرق - الخليج العجمي - ووقفت جبال لبنان امامهم سداً تمنعهم عن التطلع الى ما وراءها من ارض خصبة ومدن عامرة ، فارتضوا بالبحر قبلة لهم واءداهم لبنان بالخشب فصنعوا السفن وغامروا بها فوق الامواج ؛ ولم يتركوا البر وشأنه بل سيروا فيه القوافل التجارية بين الشاطيء واقصى الحدود السورية اما اسبق الامم الى البحر والإبحار فاقربها الى الانهر ولا شك ، ويقول بعض المؤرخين ان السومريين وهم من سكان بابل الاول انزلوا الى الخليج العجمي من الدجلة والفرات زوارق تجارية منذ خمسة الاف سنة ، وكان للمصريين حوالي سنة (٢٥٠٠) قبل المسيح مراكب صغيرة تسيرها المجاذيف وهي لا تزال ظاهرة الاثر على الاثار المصرية

المراكب الاولى

وكانت هذه المراكب في اول امرها اشجاراً كبيرة رماها الانسان في البحر رغبة منه في الاستعانة بها على السباحة . ثم لما ترفت معارفه عمل

على تجويفها حتى أصبحت زورقاً عادياً كبيراً
وكانت الملاحة في البحر المتوسط بالمجاذيف اسهل منها بالاشرعة
لاختلاف الريح وكثرة الانواء ، التي تمنع المركب عن السفر اياماً ؛ اذا
كان يعتمد على الاشرعة فحسب ، فان كان اعتماده على المجاذيف سهل
عليه السفر في اي وقت شاء وايا ان اراد ، فاذا ثارت العاصفة امكنه
الالتجاء الى الشاطي . حيث تكثر المنعرجات والخلجان

المدن الفينيقية

وكانت فينيقيا مدناً متفرقة لكل مدينة اميرها وحكومتها الخاصة
لا يربط بعضها ببعض الا رباط الصداقة ، ولم تتحالف الا ساعة الخطر
لرد غاز وصد عدو ، فاذا كان الخطر . كانت فينيقيا جبهة واحدة ، وكان
على رأسها جميعاً امير من امرائها المشهورين ، وكان شرف الامارة يرجع
لكثر الاحيان الى امير صيدا او صور ، ولكن هذا لم يكن يرد مقدوراً
او يدفع محذوراً ، فأتى لفينيقيا وهي الضعيفة الصغيرة ان ترد عادية الدول
الشرقية عنها ؛ كانت تقف مستعينة فتغلب على امرها ، وتفرض
على مدنها الجزية ، وعلى امرائها القدية ، فاذا كان الخصم شديد الحول
كثير العدد ، صلب امرائها وسبي نساءها ، وهدم مدنها ، ثم ضمها اليه
ولكن فينيقيا في اقصى الشرق ، فهي بعيدة عن مصر ، وبعيدة
عن بابل واشور وفارس ؛ فاذا كانت الضدمة الاولى تركب الفاتح لشأنها
وعاد ادراجها بعد ان اخذ عليها العهد ان تكون له لا عليه ، وتعود هي
نفسها تلم شعها ، وتوثق ما تفرق من مرها ، وتوثق ما فسد من شؤونها
وفي بعد ذلك تسير لتضم اتقاء شره ، وتم شيه خوف منه

التجارة الفينيقية

وليس يساعد فينيقيا مركزها الجغرافي ان تكون بلاداً زراعية ؛
ارض ضيقة قليلة الخصب ، تعجز عن كفاة سكانها ؛ فهم مضطرون بحكم
ارضهم الى تيمم البحر وارتياح مجاهله ، نزلود منذ اربعة الاف سنة ،
واخذوا يحوسونه ما شاءوا ، امراء البحر وسادة الماء ، يحملون متاجرهم
ومصنوعاتهم الى اقصى الارض في البحر المتوسط فاذا اقتربوا من المرفأ
العامر فرزوا بضائعهم على ظهر المراكب ، ووقدوا النار ايذاناً بقدمهم ،
فاذا تجمعهم الناس على الشاطي ، واستعرضوا الجديد من هذه البضائع ،
اخذوا بوضع ما يدفعونه فيها من ثمن على الارض ، ولا يزالون يزدونه ما
برح الفينيقيون لا يجر كون ساكناً ، فاذا كانت اشارة الرضى تقدم
الفينيقيون ببضائعهم وتقدم المشتررون بأثمانهم

اما عبادتهم ومناسك ديانتهم فقد غلب الفسق والفجور عليها ؛ عبدوا
القوى الطبيعية من شمس ونار وعواصف ؛ وكان اشهر آلهتهم (عشروت)
(ادونيس) ، وكانوا يقربون الذبائح لها حتى الاطفال

اسئلة

- ١ - من اين اتى الفينيقيون الى الساحل ؟
- ٢ - ماذا نصرف الفينيقيون الى ارتياح البحار ؟
- ٣ - من اسبق الامم الى ركوب البحار ولماذا ؟
- ٤ - كيف اخترع الانسان الزوارق الاولى ؟
- ٥ - قص علينا ما تعرفه عن المدن الفينيقية وعلاقتها بعضها مع بعض ؟
- ٦ - من كان يقوم فينيقيا حين الخطر ؟
- ٧ - ما تعرفه عن السدومة بين الفينيقيين وزبائنهم ؟

الفصل الرابع

فينيقيا ، تجارتها ، لغتها

مستعمرات الفينيقيين

كانت مراكب الفينيقيين صغيرة خفيفة معرضة للخطر والفرق ، وقد تكون زوارقنا الصغيرة الحاضرة اسلم منها عاقبة فاعجب لهؤلاء القوم يبلغون بهذه المراكب الصغيرة الجزر الانكليزية ، ويجوزون عباب الخضم ، ويستقبلون اخطاره ، في عهد لا تزال فيه الملاحة طفلة صغيرة تقدم الفينيقيون في اول الامر الى جزيرة قبرص ونزلوا سنة (١٥٠٠) ق.م. الى كريت والجزر في البحر الارخبيل ، واحدثوا فيها محطات تجارية اجلاهم عنها اليونانيون اول عهدهم بالاستعمار سنة (١٠٠٠) ق.م. فوجهوا انظارهم الى افريقيا ، واتخذوا من قرطاجنة (٨٠٠) ق.م. قاعدة بحرية لمملكة عظيمة مستقلة ، ثم ذهبوا الى اسبانيا وسيسيليا وسردينيا ، وعبروا خليج جبل طارق الى الجزر البريطانية حيث حملوا تجارتهم الى اهلها .

التوسع الفينيقي

وكان للفينيقيين على الأرجح محطات تجارية في البحر الاحمر ، وكذلك علاقاتهم الحسنة مع الحكومة المصرية ^(١) ومن العجب تكيف

(١) اظهرت حفريات المسيو مونته وهو عالم اثرى انفذته الحكومة الفرنسية الى لبنان يستكشف آثاره ان المصريين بنوا في جبيل هيكلًا لآلهة البلاد وذلك حوالي سنة (٢٥٠٠) ق.م. وانهم كانوا يكرمون فيه (سيدة جبيل) مصورة بصورة آلهتهم ايزيس

الفينيقيين لعاداتهم واذواقهم وفاقاً لعادات واذواق الامم التي كانت علاقاتهم معها اعتبر ذلك في المصريين الذين كانوا يكرهون الاغراب ويطردون من بلادهم كل غريب كيف احبوا الفينيقيين حتى انهم اذنوا لهم بالسكن في العاصمة وبناء معبد فيها

كذلك ساعد الاشوريون تجارهم وحملوا قوافلهم حين مرورها

بملكهم

التجارة الفينيقية

وكان الفينيقيون ينقلون المصنوعات الشرقية الى كل بلاد الشرق والغرب في التاريخ القديم فلقد حملوا المصنوعات السورية والبابلية والمصرية الى ايطاليا وسواحل البلطيك وحملوا من هذه مصنوعات الى الشرق . وكانت الامم تبتاع هذه المصنوعات وتعمل على تقليدها وحمل الفينيقيون ايضاً معهم في سياحاتهم التجارية هذه تمدن الشرق الى الغرب وعادات الغرب الى الشرق فكانوا رسل التمدن في الشرق القديم

ولقد اخذ الفينيقيون بكل اطراف التجارة في عهدهم فاتجروا بالاقشة والحبوب والزيت والجلود والاثمار والرقيق والجواهر والرباش والفخار المزين بالالوان ، وحملوا الاخشاب من لبنان الى مصر وبابل ، واشتهروا بانواع اختصوا فيها من الاصباغ ، وقد اسماهم اليونانيون (بالفينيقين) تنوياً بشهرتهم في هذه الصناعة ، وكانوا يدعونهم اولاً (الصيداويين) لان صيدا اول المدن الفينيقية شهرة وظهوراً في التاريخ القديم . فزادوا غنى وامتد العمار والبذخ الى اقصاه في مدنهم المختلفة

على شواطئ سوريا وما برحنا نجد بين الاثار المصرية رسوماً تمثلهم وهم في مراكبهم في عرض البحار

بين مصر وفنيقيا

ولما اكتشفت الرسائل التي دارت بين ملك مصر وعماله في سوريا سنة (١٨٨٨ ق.م) في قل العبارة في مصر وهي صحائف فخارية يرجع عهدها الى القرن الخامس ق.م. وكانت سوريا في هذا العهد تحت الحكم المصري كما هو معلوم وجد المؤرخون دليلاً جديداً على علاقة سوريا وفنيقيا بمصر اذ ان كثيراً من هذه الرسائل كانت بين ملك مصر والامراء السوريين المختلفين وامراء المدن الفينيقية المختلفة ايضاً امثال بيروت وجبيل والبترون وصيدا وعكا وصور

اللغة الفينيقية

ولكن اعظم اعمالهم بل اعظم خدماتهم للتمدن هي الحروف الهجائية التي كانت مستعملة عندهم حوالي سنة (٩٠٠ ق.م) والتي حملوها معهم الى البلاد اليونانية وهولاء اخذوها عنهم وعدلوها قليلاً حتى تطابق اذواقهم وعن اليه ثاب اخذها الرومانيون وعن هولاء اخذها الاوربيون اما اللغة الفينيقية فاول اللغات التي وضعت في احرف هجائية وذلك قبل المسيح باثني عشر قرناً والفينيقية لغة سامية وهي قسيمة اللغة العبرانية وشقيقتها وهي اللغة التي استعملها ابنا الساحل السوري نحواً من ست او سبع مئة سنة بدايتها القرن الثاني عشر قبل المسيح. ومن الغريب ان الذين نشروا حروف الهجاء وانشأوا منها حروفاً للفتهم لم

يتركوا لنا أثراً كتابياً ، ولعل سبب ذلك ان كتاباتهم كانت بالاكثر تجارية وعلى مادة سريعة انتلاف ، فاقدم الكتابات الفينيقية لا يرجع الى ما هو قبل القرن السادس قبل المسيح واصكثرها مما وجد في قبرص ومصر والمستعمرات الفينيقية لا على الساحل السوري . وظلت الفينيقية لغة الساحل حتى اقتلعتها اللغة الارامية

...

اسئلة

- ١ - ما عدد المستعمرات الفينيقية ؟
- ٢ - لماذا احب المصريون الفينيقيين وسمحوا لهم بالسكنى في بلادهم ؟
- ٣ - ما الذي تعرفه عن التجارة الفينيقية
- ٤ - تكلم عن علاقات فينقيا ومصر
- ٥ - لماذا لم يترك الفينيقيون أثراً كتابياً ؟

الفصل الخامس

سوريا في عهد اليهود واشور وفارس

الاراميون واليهود في سوريا

تسللت عناصر ثلاثة الى سوريا في خلال القرن العاشر قبل المسيح ، الاراميون وهم شعب سامي انشأوا عدة ممالك صغيرة في سورية اهمها

مملكة دمشق ، وقد تمكنت هذه المملكة غير مرة من رد الاشوريين والاسرائيليين عن سوريا^(١)

ثم بنو اسرائيل وهم يدو ساميون هبط بعضهم سوريا وذهب القسم الآخر الى مصر ، ولم تطل مدة اقامته فيها فغادرها الى فلسطين حيث اخوانه الاول قد استوطنوا وكان بينهم وبين الكنعانيين^(٢) حروب شديدة انتهت بانتصار الاسرائيليين عليهم وتأسيسهم اول دولة يهودية في التاريخ

ثم الفلسطينيون وهم قوم نزحوا من جزيرة كريت وكانت بينهم وبين اليهود مناوشات وحروب انتهت بانتصار اليهود وتغلبهم على مناوئتهم واعداثهم^(٣)

المملكة اليهودية

ليس لهذه المملكة شأن في التاريخ القديم من حيث اثارها وادابها

(١) ملكت الدولة الارامية في دمشق ثلاثة قرون وكان بينها وبين اليهود والاشوريين حروب عديدة

(٢) الكنعانيون قبائل سامية استوطنت جنوبي سوريا ، وكانوا يتكلمون بلغة دعوها فيما بعد العبرانية لان بني اسرائيل اخذوها عنهم . وسكن الاموريون في وادي العاصي

(٣) اخذ يتسلل في القرن الثاني عشر والثالث عشر الى سوريا شعوب غريبة اتت من الغرب عن طريق اسيا الصغرى واليونان وقد تمكنت هذه الشعوب من القضاء على ممتلكات المصريين ودولة الحثيين في سوريا ، ومنهم قوم يقال لهم (الفلسطينيون) نزحوا جنوبي الكرمل على شاطئ البحر فاطلق اسمهم على تلك الارض كلها فدعيت (فلسطين)

وفتوحاتها ، فقد كانت في كل ذلك مملكة ثانوية وليس يهمننا من تاريخها الا ان عمرها كان قصيراً جداً ، وان ضعفها كان ظاهراً

كان اليهود بعد خروجهم من مصر وانتشارهم في فلسطين اثني عشر سبطاً يدير شؤونهم ويحكم بينهم (قضاة) منهم ، ثم تاقوا الى الملك ففسح احد قضاتهم في القرن الحادي عشر قبل المسيح شاوول ملكاً عليهم وخلفه داود فوسع مملكته من نهر الخاصى حتى البحر الاحمر ؛ وجعل قاعدتها اورشليم ، وجاء بعده سليمان وبني في اورشليم الهيكل والبلاط ؛ واستعان بجهرة من الصناع الفينيقيين او فندهم اليه جيرام ملك صور ، وبعد وفاة سليمان سنة (٩٥٠ ق.م) انشقت اسباط اليهود الشمالية عن اسباط اليهود الجنوبية وتأنلت مملكتان يهوديتان مملكة اسرائيل وعاصمتها السامرة (سبطيه قرب نابلس) ومملكة يهوذا وقاعدتها اورشليم (القدس الشريف)

واذن هذا الانقسام بالنيار المملكة ؛ فقد كان اليهود عصبة ضعيفة لا تدفع محذوراً وان كانت متحدة في جبهة واحدة ، فكيف بهم وقد دب الانقسام اليهم وتسلل الضعف الى صفوفهم ، وفي سنة ٧٢٢ ق.م . هاجم سرجون مملكة السامرة فدمرها . وقضى (نبوخذنصر) ملك بابل سنة ٥٨٦ على الدولة الثانية وعاصمتها القدس وحمل اهلها اسرى الى بابل حتى اطلقهم كورش الفارسي مؤسس المملكة الفارسية

ولقد اشتهر اليهود في التاريخ بما ذهبوا اليه من توحيد الله وعبادته وحده . فكانوا اسبق الامم الى المذهب التوحيدي ، واسرعهم الى تفسير القوى الطبيعية الغامضة بما يوافق ذلك العصر

اشور وفارس

وتتابع على حكم سوريا بعد هذا العهد دولتان عظيمتان اولهما اشور وهي دولة عسكرية نشأت في جنوبي العراق ، واخذت حملات ملوكها تتوالى على سوريا منذ عهد اشورنا سيربال ٨٨٤ - ٨٦٠ ، حتى دان لهم معظم البلاد بعد معارك عظيمة (١)

ولما ضعفت اشور وتداعت المملكة وسقطت نينوى العاصمة امام حملات الحلفاء من البابليين والفارسيين والماديين ظهرت في الشرق القديم في فارس دولة جديدة ، كان مؤسسها الاول كورش ، فسقطت سوريا بدورها تحت النفوذ الفارسي حتى ظهر الاسكندر المقدوني واستولى عليها

وكانت سوريا ايلة فارسية وصيدا عاصمة الالة ، وافتت السفن الفينيقية وعددها ٣٠٠ نواة لاسطول الفارسي الذي حارب اليونانيين

...

اسئلة

- ١ - سمّ العناصر التي دخلت سوريا في خلال القرن العشرين ؟
- ٢ - كيف دخل بنو اسرائيل الى سوريا ؟
- ٣ - اذكر ما تعرفه عن المملكة اليهودية ؟
- ٤ - من اطلق اليهود من الاسر ؟
- ٥ - تكلم عن استيلاء اشور وفارس على سوريا ؟

(١) ولا يزال في لبنان من عهد الاشوريين بعض الآثار الدالة على ثبوت قدمهم فيه ، فمن ذلك ما يرى في مضيق نهر انكلب فان هناك عدا الآثار المصرية التي تمثل

الفصل السادس

سوريا في عهد اليونان — الاسكندر وملكة السلوقيين

من سنة ٣٣٣ — ٦٤ ق م

نظرة في الوحدة السورية

رأينا في الصفحات الماضية كيف انتقلت سوريا من حكم دولة الى اخرى فهي لم تعرف الاستقلال الا غراراً ولم تتمكن من تأسيس دولة قوية واحدة مع ان هناك جامعة بين سكانها كان يجب ان تساعد على الوحدة وان تعمل على لم الشعث فكان هناك للوحدة السياسية جامعة الارض واللغة والتقاليد وكان ضعف الوحدة السياسية عند

رعمسيس الثاني اكثر ملوك مصر امعانا في الفتح قائماً في ثوبه الملكي امام معبوده (راء) احد الالهة المصرية ، وثوقس الثالث الذي سار على اثار رعمسيس الثاني في الفتوحات والغزوات ، خمساً من الصفائح الاشورية فيها تصاوير وكتابات شتى لملوك اشور الذين قطعوا النهر في ذلك المكان ، فالكتابات بالقلم المسماري تتضمن تاريخ غزوات الاشوريين لمصر والسواحل السورية ، ومع الكتابة صور ملوكهم بازيائهم الفاخرة ، اخصها رسم أحد ملوك اشور بلحية طويلة مجمدة وهو لابس رداء سابغ الذيل وعلى رأسه تاج ملوك اشور . وهناك اثار اشورية غيرها في جبل اكروم من اعمال عكار وفي وادي بريسة على مسافة عشرة كيلو مترات من الهرمل

السوريين من الاسباب التي عملت على اذلالهم وتغلب الدول الكبيرة عليهم وكان هناك ايضاً سبب جغرافي وهو ان سوريا كانت تقع في طريق هذه الدول فان كانت الدولة مصر فلم تكن تستطيع من التزول الى بابل او اشور الا باقتحام سوريا ، وكانت مصر وهي ضعيفة لقمة سائغة لاشور وفارس وطريق الفتح اليها القطر السوري ، فلا عجب بعد ذلك اذا ظلت سوريا مفككة العرن مشتتة الجماعة لانه يصعب على الجامعات السياسية ان تقوى وتنمو في غير جو مطمئن يمتد عليه السلام مدة طويلة . ولقد تغلبت على سوريا كل دول الشرق القديم فلم تضعف الوحدة السياسية في الشرق ولمع نجم الغرب . نزل اليونانيون بقيادة الاسكندر المقدوني الى سوريا فكان هذا القطر احدى المقاطعات التي تولى الامبراطورية العالمية الكبرى التي اراد الاسكندر انشاءها . ولما توفي الاسكندر وقام بالامر خلفاؤه من بعده وقواده في جيشه واقتسموا الامبراطورية فيما بينهم كانت سوريا حصة السلوقيين نسبة الى سلوقي احد قواد الاسكندر (٣١٢) ق م . وكانت عاصمتها انطاكية في شمالي سوريا ، وهذه هي المرة الاولى في التاريخ القديم تتألف في سوريا دولة منظمة بعد الدولة اليهودية البسيطة في شكلها وادارتها ايام داود وسليمان

المملكة السلوقية

ولقد قسم سلوقي الاول - (٣١٣-٢٨١) مملكته الجديدة الى اثنين وسبعين ولاية ، وبني انطاكية ، شيد اللاذقية ، وقد فازع ملك مصر السلوقيين على البقاع ودمشق وبلاد الاردن فكانت

بين الملكتين ملاحمة انتهت بانتصار السلوقيين في موقعة بانيون سنة (١٩٨) ق م

واشتهر السلوقيون ببنائيتهم العظيمة فزأوا مدنهم بالأروقة والمسارح وميادين الرياضة والهياكل الفخمة

وانشأوا مستعمرات عديدة اسكنوها بالجنود القديمة من اليونانيين منها سلوقية على نهر دجلة والصاحبة على انفرات ، وانتشرت على عهدهم الحضارة اليونانية في سوريا ، ونبع في السوريين بعض الشعر ، والادباء . واعظم الملوك السلوقيين بعد سلوقي انطيوخوس الاول (٨١ -

٢٦١) وكان ملكاً عظيماً ، وانطيوخوس الثالث ٢٢٣ - ١٨٧ وهو الذي اغار على بلاد اليونان واشتتت في قتل مع الرومان فغلبه فيه واخذوا منه الاقاليم الواقعة في شملي جبال طوروس ، وانطيوخوس الرابع ١٧٥ - ١٦٤ وهو الذي اراد فتح مصر وكاد يفتحها لولا معارضة رومية له

...

اسئلة

- ١ - عدد الاسباب التي قضت على الوحدة السورية ؟
- ٢ - كيف انتقلت سوريا من حكم اشرق الى الغرب ؟
- ٣ - تكلم عن اعمال سلوقي الاول ؟
- ٤ - اذكر اعمال السلوقيين العمرانية ؟

الفصل السابع

— سوريا في عهد الرومان —

القضاء على اليهود ، السيد المسيح ، زينب التدمرية
٦٤ ق م — ٩٥ م

رومية في سوريا

لم تعمر الدولة السلوقية طويلاً فقد سقطت لما تقدم الرومان بجيولهم ورجلهم سنة ٦٤ ق م وضمت سورية الى (رومية) وسميت مقاطعة سوريا وكانت الحالة في سوريا حسنة جداً فقد زادت تجارتها وترقت صناعاتها تحت الادارة والسلام الرومانيين وكان السوريون يعتقدون انهم قد اصبحوا من الرعايا الرومانيين لهم من الحقوق ما للروماني وعليهم ما عليه. الا ترى بطرس الحواري كيف نادى بذلك على ملا من الناس ثقة منه ان في هذه الحجة ما يكفيه شر اعدائه وخصومه

القضاء على اليهودية

ولم يرق اليهود الحكم الروماني فثاروا سنة ٦٦ م وشقوا عصا الطاعة فزحف عليهم الامبراطور فسباجيان وحصرهم في اورشليم غير انه توفي قبل فتحها . فقام بالامر بعده تيطوس ابنه وافتتحها عنوة واحرقها بالنار وهدم الهياكل حجراً حجراً (٨٠ م) وقتل الكثير من اليهود وكل في ذلك القضاء الاكبر على الحكم اليهودي واستقلاله الذاتي فقتلت اليهود بعد هذا الفاجعة في اقطار العالم

سوريا واهميتها

وكانت سوريا من اهم مقاطعات الامبراطورية يرسل اليها
الامبراطور امر القواد واقدر الساسة الرومانيين . وكان لا يزال في سوريا
بعض المدن المستقلة مركزياً والتي تمت بحبل من الاخلاص والعبودية
الى الحاكم الروماني نائب الامبراطور

وكان بعض السوريين يتطوعون في الجيش الروماني فيرسلون احياناً
الى مصر وافريقيا والحدود الالمانية وكان عدد سكان انطاكية العاصمة
(٣٠٠) الف نسمة وكانت التجارة السورية بالاقشة الملونة والزيت
والحبوب تملأ اسواق العالم

اللغة اللاتينية

ولما اجتاحت القائد الروماني يومي البلاد السورية دخلت سوريا
لغة جديدة هي اللغة اللاتينية التي اصبحت لغة المحاكم والتشريع والسياسة
وكان الرومانيون في سوريا قلائل اقام معظمهم في المدن الساحلية والمراكز
التجارية فاصبهم بتوالي الاعوام ما اصاب المستعمرين اليونان من
الانقراض امام العنصرية السورية

اللغة الارامية

وكانت الارامية في ذلك العهد لغة البلاد وكان العنصر الغالب في
كلا الحزبين العنصر السامي لا العنصر الاوروي
وخلال هذه القول ان اللغة الشائعة في سوريا ولبنان من فجر التاريخ
حتى الفتح العربي كانت اربدا لهجة سامية امورية اولاً فارامية وفينيقية

وعبرية ثانياً وان اللغات غير السامية من فارسية ويونانية ولاتينية عجزت ان تسيطر على غير الدوائر الرسمية وليس من شك اليوم ان اللغة الارامية وأخصاً السريانية كانت لغة السواد الاعظم في سوريا ولبنان وانها كانت السائدة في القرن السادس قبل المسيح الى بدء القرن التاسع بعده

السيد المسيح

وفي عهد الامبراطور اوقستس ربيب القائد الاشهر يوليوس قيصر ولد المسيح عليه السلام في مدينة الناصرة من اهل نسطين واخذ بالتبشير والدعوة لعامة الله جل شأنه وسار تلامذته من بعد على سيرته وانتشرت المسيحية حتى اصبحت بين اهل الاروبي وبعض الاسيوي والاميركي والافريقي وفي كثير من اديان اسيوط وانتصاراً
الفرس والرومان

وكان الفرس يعمدون مراراً على اكتساح سوريا فها سجدت لهم الفرص تقدموا ونحوها مهددوا ولاي الامبراطورية الشرقية واحرقوا انطاكية عاصمة سوريا سنة ٢٦٠ م فبهري لهم زعيم عربي يسمى أزينه سليل امراء تدمر شغل في ارضهم هذا الصنيع واطبقوا يده في حكم تدمر وما جاورها من البلاد

زينب التدمرية

ولما توفي في سنة ٢٦٧ م قامت بالامر بعده امرته زينب وكانت ذات دهاء وحزم فجددتها نفسها بالاستقلال وطمحت الى مصر فافتتحتها

وهددت اسيا الصغرى الا انها غلبت على امرها فتراجعت حتى تدمر
وشدد الرومان عليها الحصار حتى سلمت سنة ٢٧٢ م فحملوها الى رومية
حيث قضت نحبها ودمر الرومان تدمر بعدها حتى لا تقوم لها قائمة .

...

اسئلة

- ١ - كيف كانت الحالة في سوريا حين تقدم الرومان اليها ؟
- ٢ - كيف ضربت اورشليم ؟
- ٣ - ما تعرف عن اهمية سوريا في عهد الرومان ؟
- ٤ - متى ظهر السيد المسيح ؟
- ٥ - تكلم عن تأثير اللغة اللاتينية والارامية ؟
- ٦ - ماذا تعرف عن زئنب العربية التدمرية ؟

الفصل الثامن

سوريا في عهد الدولة البيزنطية

٣٩٥ - ٦٣٤ م

الحالة العمومية - التجارة والصناعة - بين فارس والروم
المصريون وسوء الادارة

الحالة العمومية

لما انتقلت عاصمة الامبراطور الرومانية من الغرب الى الشرق

ظلت سوريا تابعة للإمبراطور الروماني في القسطنطينية ولم يكن حظها حسناً ولا عهداً براقاً لأمعاً فقد تجزأت فيه إلى أقسام كثيرة فاصبح شمالها ثلاثة أقسام وقسمت فينيقيا إلى قسمين فينيقيا البحرية وعاصمتها صور وفينيقيا التاريخية وقد ضمت إليها بعلبك والشام وحمص وتدمر ولم تكن السياسة الرومانية في سوريا عادلة ولا منصفة فقد زادت الضرائب وقلت الأعمال الإصلاحية واخذ الضعف في هذا العهد يتسلل إلى جسم الامبراطورية الرومانية فاخذت تعمل على دفعه ما استطاعت بتحسين المدن وانشاء المراكز للدفاع عن الحدود

مدرسة بيروت الحقوقية

وكانت اللغة الارامية تزداد انتشاراً ومدرسة بيروت الحقوقية تريد رقياً وشهرة وكانت اللاتينية لغة التدريس الرسمية فكان يقصدها الطلاب من كل الانحاء حتى من القسطنطينية نفسها ولكن ثارت الطبيعة فجأة وزلزلت الارض زلزالها سنة (٥٥٠) م فانهارت المدرسة وهلك ثلاثون الفا من السكان وكانت الهزة ساحلية عمومية الا انها اصابت بيروت بالشر الاكبر والنكبة العظمى

وكان السوريون غاضبين زاعمين على الادارة الرومانية وقد طالبوا بالاصلاح فلم يلب اولوا الشأن في العاصمة طلبهم وزاد الحالة خرقاً ظهور الارثوذكسية في القسطنطينية ونشأ الاختلاف بسببها بين افراد الشعب حتى في المقاطعات والمستعمرات الرومانية

التجارة والصناعة

اما التجارة السورية فكانت زاهرة برغم الحالة السياسية وكان السوريون يقصدون العالم بمرأيتهم وكان لهم مستعمرات مهمة في ايطاليا واسبانيا وبلاد غاليا ويقول بعض المؤرخين ان الفينيقيين انفسهم هم الذين اتوا بالحديد من الصين وكانت الصناعة السورية راقية ايضاً فادوات الزينة والنحت والرسم كانت في صناعتها تختلف عن الصناعة الرومانية المعروفة والفن اليوناني القديم وكثر التلون في الصناعة السورية واستعملت الاحجار للبناء بدلاً من الحجر والفخار وهو المستعمل لذلك العهد

بين فارس والروم

اما الروح الوطنية فكانت قوية في سوريا ولكن انقسام السوريين عمل على تخاذلهم فلم يستفيدوا من هذه الروح في فترة من الزمن كانت فيه الامبراطورية الرومانية في شغل عن سوريا والحدود السورية بفتوحاتها في افريقيا واوروبا

فكانت الحامية الرومانية متروكة وشأنها تدبر امرها بنفسها في القطر السوري فلما تحركت القبائل العربية الفزارية حول العراق ونواحي الحيرة بأمر النعمان ملك العراق وبرأي سيده ملك فارس وهو من العائلة الساسانية نحو سوريا لافتتاح ردهم الغساسنة عمال الروم وهم من العرب وكانت الحرب سجلاً بين الفريقين حتى نشأ بين الغساسنة والروم خصام ففتح ابواب سوريا على مصراعيه للفرس ثم تعرب من بعدهم

خسرو ملك فارس

ولقد تقدم خسرو ملك فارس سنة (٥٤٠) م الى سوريا بطريق
المنبج حتى حلب فاحرقها لانها عجزت عن دفع الغرامة الهائلة التي
فرضها عليها

ولما انتهى خسرو من حلب تقدم الى انطاكيه عاصمة سوريا
فافتتحها عنوة واخذ اهلها اسرى وبذلك سقطت هذه المدينة التاريخية
عن منزلتها السامية في الشرق القديم

ورأت الامبراطورية الرومانية عجزها عن د خسرو فتعاهدت
واياه ان تعطيه ما طالب من بلاد ومال

وفي سنة (٦٠٢) م قتل (فوكاس) احد النبلاء في القسطنطينية
الامبراطور موريس فتقدم خسرو الى سوريا لالاخذ بثأر الامبراطور وهو
في الحقيقة يعمل لحسابه وللنهب والسلب فقط ولما تمكن الامبراطور
هرقل خليفة الامبراطور موريس من التغلب على فوكاس سنة
(٦١٠) م اخذ يتأهب لرد خسرو عن الامبراطورية الرومانية

الفرس في سوريا

وكان الفرس في ذلك الحين يتقدمون في الامبراطورية وهم ينتقلون
من فتح الى فتح ومن نصر الى نصر خلوا البلاد من وسائل الدفاع
ولاختلاف ابنائها وانقسامهم على بعضهم وخيانة بعض سكانها كاليهود
والسامريين الذين انضموا للفرس واطلعوهم على عورات البلاد
وفي سنة (٦١٤) م دخل الفرس الشام ونهبوها واخذوا اهلها

اسرى وفي السنة التالية تقدموا الى فلسطين وحاصروا القدس وفي سنة (٥١٥ ق م) افتتحوها وذبحوا اهلها واخذوا الصليب معهم الى بلادهم ثم تقدموا نحو مصر والاناضول بعد ان ضموا سوريا اليهم والفوا منها مقاطعة فارسية

الامبراطور هرقل

وحينئذ خض الامبراطور هرقل من سباته وتقدم باسطوايه حتى خليج الاسكندرونه واخذ يرتب وسائل الدفاع وتمكن في ستة معارك متوالية من انقاذ الامبراطورية ورد الفرس الى ما وراء الفرات واجبر الملك خسرو على رد الصليب وطلب الصلح

ولقد كان على هرقل ان يعمل بعد هذا لما فيه المصلحة العامة فيرتق الفتق ويلم الشعب ويؤلف بين القلوب ويوحد الاراء المذهبية المتفرقة بيد انه لم يفعل من ذلك شيئاً بل زاد الضرائب لان الخزينة كانت فارغة وتداخل في الاختلافات المذهبية فكان ذلك سبباً لنفور السوريين منه ومن سياسته وادارته

الارامية السريانية

اما الاراميون الساكنون في سوريا بعد ان اعتنقوا الديانة المسيحية فقد مالوا الى التلبس باسم السريان وهو الاسم الذي اطلقه عليهم اليونانيون واستنكفوا من استعمال لفظة (اراميين) لما علق بالاذهان من كراهية الوثنية القديمة في هذه اللفظة ولما انتشرت تعاليم نسطور فيما بينهم في اواخر القرن الخامس وكانت يومئذ تتقاسمهم سلطتان او نفوذان الفرس

والرومان اعتنق معظم السريان الشرقيين الخاضعين لدولة فارس العقيدة
النسطورية وانضم السريان الغربيون الخاضعون للرومان الى مذهب
اليعاقبة القائلين بالطبيعة الواحدة وصار بين الفريقين اختلاف ديني
تبعه اختلاف لغوي فاطلق اسم السريانية على اللهجة السورية والكلدانية
على الفرع الشرقي على ان الفرق بين اللهجتين سطحي وهو مقتصر على
لفظ بعض الاحرف والحركات وشكل الخط

واخلاصة ان اللغة الارامية السريانية هي التي كانت سائدة في سوريا
حين دخلها العرب وهي اللغة التي نازعتها العربية نزاعاً شديداً حتى اقتلعتها
وتأصلت مكانها

...

اسئلة

- ١ - كيف كانت سوريا في عهد بيزانطية ؟
- ٢ - صف لنا الحالة العمومية ؟
- ٣ - ما تعرف عن مدرسة بيروت الحقوقية ؟
- ٤ - هل كان السوريون راضين عن السياسة الرومانية ؟
- ٥ - كيف كان حال التجارة ؟
- ٦ - تكلم عن غارات الفرس على سوريا واسبابها ؟
- ٧ - ما تعرف عن خسرو وقتوحاته ؟
- ٨ = صف لنا انتصارات هرقل ؟
- ٩ = تكلم عن اللغة الارامية السريانية في سوريا ؟

القسم الثاني

سوريا ولبنان بعد الفتح العربي

الفصل التاسع

الفتح العربي سنة ٦٣٤ بعد المسيح

العرب في الجاهلية ، الشعر والعرب ، الخلفاء الراشدون ، فتح العراق وسوريا

العرب في الجاهلية

كان العرب يقيمون في شبه الجزيرة العربية وكانوا قبل الاسلام كما هم اليوم قبائل وعشائر تعيش في بلاد كانت ولا تزال قاحلة ، لا يتجه نظر احد للاستيلاء عليها اذ لم يكن في ذلك الفتح فائدة محسوسة ، وكانت تعتمد في قوامها الاقتصادي على التجارة والتميرات القليلة الضئيلة التي تنبت في ارضها وكان جل اعتماد اهلها على التجارة اذ كان البر وسيلة صالحة للنقل ولم يكن العرب تجاراً ولكنهم كانوا حماة للتجارة التي تمر بارضهم من غزو القبائل لها واستيلائهم عليها . وهذه حياة قل ان يستقر صاحبها الى ذرية وقل ان تسمح له بالتفرغ الى مظاهر الحياة الفئانة وقل ان تسمح بقيام المدن والجماعات المتشابكة المصالح القائمة

حياتها العامة على التضامن والتنافس وما يزال هذا شأن الجزيرة الى يومنا هذا فالمدن فيها قليلة والحضارة ضعيفة والقبائل لا تزال تضرب في ارض الجزيرة تبغي رزقاً مجهولاً وماء ضائعاً

العرب قبل الاسلام والشعر

وتاريخ العرب قبل الاسلام عامض مجهول وهو لا يروي عن تاريخهم القديم شيئاً راهناً وزواياته لا تدل على اكثر من ان العرب كانوا اهل بأس ونجدة وحياة معنوية فياضة . كانوا اهل ادب وشعر فنان والحياة في البداوة تقوم عادة على الشعر وانت تستطيع ان تبحث عن فلاسفتهم وحكائهم وقادتهم وساستهم ومدبري امورهم ثم تستطيع ان تبحث عن فلسفتهم ودينهم ونظمهم المختلفة وحياة عقولهم وعواطفهم فلا تجدوها الا في الشعر . فالشعر اذا هو اول مظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية القوية لتلك الامة البدوية العربية ؛ وهل كانت تقوم الحضارة الاسلامية التي ظهر فيها من ظهر من العلماء وافذاذ الرجال لو لم توجد البداوة العربية التي سيطر عليها امرؤ القيس والنابعة والاعشى وزهير وغيرهم من امراء الشعر في العصر الجاهلي قبل الاسلام

ولما جاء الاسلام كانت شبه الجزيرة على حالها القديم من البداوة والانقسام وكانت شيعاً وقبائل كل منها ذات كيان مستقل بحاله من نسب وتقاليد ولهجة عربية تختلف قايلاً او كثيراً عن لهجة قريش ولكنها كانت جميعاً ذات حياة معنوية وادبية ممتازة في القوة وكانت هذه الحياة المعنوية السامية لا تتفق مع بعض العقائد والتقاليد التي اكتسبها

العرب من عقائد الشعوب المجاورة كعبادة الاوثان وغيرها لذلك وجدت كلمة الاسلام في بساطتها وقوتها مرعى خصباً ومجالاً واسعاً

الوحدة العربية

ولقد توفي النبي العربي عليه السلام سنة (٦٣٢) بعد ان وحد العرب وجمعهم على كلمة واحدة وانشأ لهم قومية وعنصرية دينية وقام بالامر بعده الخليفة ابو بكر فارسل البعوث الى العراق وسوريا تبغي فتحاً وغزواً. ولما كان الوهن قد تطرق الى فارس والروم عجزت جنودها عن الثبات امام جيوش القومية الجديدة النشيطة الفتية فسقطتا وانهارت امام القبائل العربية مملكتان من اعظم ممالك التاريخ القديم بأساً ونشاطاً وسلطاناً. وانقضت على بلادها هذه القبائل المتفرقة توغل فيها غزواً وفتحاً ونصراً

عصر الخلفاء الراشدين

لا جرم ان عصر الخلفاء الراشدين من اروع عصور الاسلام فانت تحس فيه الجلال وانت ترى في خلاله العظمة الاخلاقية وانت تتوهم في رجليه الاولين معنى قد لا تجده في تاريخ كثيرين من ابطال العالم ذلك انك تجد فيه صوراً من الوطنية جديدة والواناً من التضحية وترفع النفس
 "لا تجدها في غيره من العصور"

الخليفة ابو بكر ٦٣٢ - ٦٣٥

كان ابو بكر اول الخلفاء الراشدين وكانت بيعته بالخلافة - ٦٣٢

وكانت فاتحة اعماله محاربة العرب من البدو الذين ارتدوا عن الاسلام وقد منع بعضهم الزكاة فجز عليهم ابو بكر البعوث وكان عددها اثني عشر بعثاً فما انفكت عنهم حتى ردتهم الى الاسلام والطاعة

فتح العراق وفارس

وكان المشني بن حارثة في هذه الفترة وهو من كبار القواد المسلمين يناجز الفرس وعماهم من العرب في العراق وكان قد اوغل في الانتصار واجمل في الفتح فلما عرف الخليفة بانتصاراته هذه وكانت قد انتهت معارك الردة في جزيرة العرب ورجع خالد بن الوليد فائزاً منتصراً انفذه الى العراق وضم اليه المشني بن حارثة فنازل خالد الفرس في عدة معارك وفتح الحيرة عاصمة العراق . وكانت معركة السلاسل فغلب هرمز قائد الفرس واستولى على ذخائره وامواله . وجاء الامر بعدها الى خالد بن الوليد ان ينزل الى سوريا فيتزعم قواد العرب المتفرقين فيها مقدمة للمعركة الفاصلة ؛ وكان عمر بن الخطاب قد امر (ابا عبيد) على جيش العراق وانتصر المسلمون في عهد هذا القائد على جيش من الفرس الا ان قائدهم سقط في معركة الجسر فرد عمر بن الخطاب المشني الى قيادة الجند وائفذ اليه الرجال والعتاد و انت المعارك في العراق وبلاد فارس تسير ببطني ذلك ان الطرق كادت تكون معدومة وكان تجهيز جيش واساله الى ساحة القتال يحتاج الى وقت طويل فلما تمكن المشني في سنة ٦٣٥ من مناخزة الجيش الفارسي الجديد في معركة البويب هزمه وقضى عليه

واهتمت حكومة فارس الامر واحست بالامبراطورية تتفكك

عراها ان ظل العرب على تقدمهم فانفذ كسرى الى رستم احد رجاله ان يضم اليه ما يتمكن من جمعه من الجند وان ينازل العرب في معركة فاصلة ورأى المثنى استعداد الفرس لمجالدته فنزل بنفسه الى المدينة يفاوض الخليفة عمر بن الخطاب ويطاعه على الحالة العسكرية في ميدان العراق فظهر عمر اهتماماً فائقاً وانفذ من فوره ما عنده من الجند وعقد القيادة لسعد بن ابي وقاص احد كبار الصحابة . وكان المثنى قد اصيب بجراحات عديدة في معركة الجسر ما زال اثرها ظاهراً فاثرت عليه واضنته فقضى نحبه قبل ان يرى تحقق آماله من سقوط الامبراطورية الفارسية امام الامبراطورية العربية الفتية

ولسنا نتوسع في البحث عن الفتح الفارسي بل حسبنا ان نقول ان سعد بن ابي وقاص نازل رستم القائد الفارسي في معركة القادسية فهزم الجيش وقتل قائده وكان في ذلك القضاء على الامبراطورية الفارسية وقيام العرب في عاصمتها واقتسامهم غنائمها وخيراتها

...

اسئلة

- ١ - كيف كان العرب في الجاهلية ؟
- ٢ - ما تأثير الشعر عند العرب ؟
- ٣ - كيف كان عصر الخلفاء الراشدين ؟
- ٤ - صف فتوحات العرب الاولى في العراق وفارس ؟

الفصل العاشر

الفتح السوري ٦٣٤ - ٦٦٠

معركة اليموك ، مقتل عمر بن الخطاب ، الحوارج ،
آخر الخلفاء الراشدين

القواد الثلاثة

كان بين العرب والروم ثارات فقد سقطت في معركة مؤتة لعهد النبي
كثيرون من كبار رجال المسلمين امام كتيبة من جند الروم وكان الجند
الذي اراد النبي ارساله قبل وفاته تحت قيادة اسامة بن زيد بن حارثة ثار القتل
تلك الموقعة فلما تولى الخليفة ابو بكر الامر تقدم ثلاثة من قواد المسلمين
ومعهم فصائل صغيرة من الجند العربي الى سوريا وفلسطين وكانوا ثلاثة
نفر عمرو بن العاص فاتح مصر ، وزيد بن ابي سفيان ، وشراحبيل
وتبعهم ابو عبيدة الجراح وكان لا يزيد عدد الفصائل العربية كلها عن
خمسة عشر الف عربي وذلك سنة ٦٣٣ مسيحية

تقدمت احدى هذه الفصائل نحو البحر الميت فتقدم نحوها سرجيوس
قائد قيسارية يريد ردها فردته وهزمت رجاله وسقط هو وقتيلا بدوره
وكان قائد هذه الفرقة زيد بن ابي سفيان وبسقوط سرجيوس اصبحت
فلسطين تحت رحمة الفاتحين العرب

معركة اليرموك

وكان خالد بن الوليد قد بلغ سوريا قادماً من العراق فضم القواد بعضهم الى بعض وكان رجال الامبراطور قد جمعوا جيشاً وتقدموا نحو اجنادين -- وهو مكان غير معروف اليوم - ولكنه لا يبعد عن دمشق كثيراً فكانت المعركة فيه شديدة عظيمة هلك فيها كثير من الروم ورددهم العرب على اعقابهم وهرب قندهم ثيودور الى حصن وكان هرقل فيها فلما بلغه خبر هذا الانكسار ارتد الى انطاكية لتجديد جيش جديد .

وكان الجيش الرومي الجديد ثمانين ألفاً نصفه من الروم والنصف الآخر من الاردن ومسيحي العرب وكان خالد حين اتته اخبار الاستعدادات التي يقوم بها ملك الروم قد تراجع عن بعض البلاد التي افتتحها ودمشق منها وكانت قد سلمت تحت شروط . ولم يلق الجيشان الا في ٢٣ تموز سنة ٦٣٦ مسيحية في معركة الجابية وغيرها من المعارك البسيطة وذلك جنوبي دمشق ثم كانت معركة الياقوصه او (اليرموك) في ٢٠ اغستوس ٦٣٦ فدارت الدائرة فيها على الروم وكانت الهزيمة هائلة والنصر عظيماً اشتركت فيه نساء العرب فكانت في مواطنها وراء الجيش من اكبر عوامل التحميس والتشجيع

أخلى هرقل سوريا بعد المعركة واخذ العرب يستزلون المدن السورية واحدة بعد اخرى فسقطت دمشق ثانية بيد القائد العام الي عبيدة الجراح وجاء الخبر بوفاة الخليفة الي بكر في معركة اليرموك

وخلافة عمر وصدور امره الى ابي عبيدة الجراح بالقيادة العامة . وكان عمرو بن العاص يحاصر بيت المقدس فرفض اهلها التسليم الا ان يكون الخليفة نفسه حاضراً وكان الامر كذلك فحضر امير المؤمنين عمر بن الخطاب وتسلم المدينة اما شراحيل ويزيد فاخذوا باسقاط المدن الساحلية

طاعون عمواس

وليس اشد من السنة الثامنة عشر هجرية على المسلمين فقد فشا فيها الطاعون فقتل على كثير من رجال المسلمين وجنودهم بينهم ثلاثة من كبار القواد ابي عبيدة الجراح وشراحيل ويزيد ابن ابي سفيان

مقتل عمر بن الخطاب

قال احد الرواة من الاعراب شهدت عمر بن الخطاب يوم طعن فما منعني ان اكون في الصف الاول الا هيئته فكنت في الصف الذي يليه فلما اقبل عمر لصلاة الصبح عرض له ابو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبه فطعنه ثلاث طعنات فسمعت عمر يقول « دونكم الرجل فقد قتلني »

عثمان بن عفان

ولم يستخلف عمر احداً وانما عهد الى الفر الذين توفي النبي وهو وارض عنهم ان يستخلفوا احدهم فاتفقوا على عثمان بن عفان وكان رجلاً محبوباً من قريش غدا المسلمون في ايامه على ارزاقهم وتوسعوا فيها واقتنوا الدود وبنوا المساكن وكانوا في ايام عمر لا يفعلون ذلك اجلالاً له وتأسياً به

وتوفر المال في ايام عثمان حتى لقد بيعت الجارية بوزنها وبيع الفرس بعشرة الاف دينار وبيع البعير بالف والنخلة بمثل ذلك ثم انكر الناس في المدينة والامصار على عثمان بن عفان اشياء واموراً منها اختصاصه بني امية بالخيرات والوظائف وغير ذلك فنقموا عليه وحاصروه وقتلوه

الفتنة في الاسلام

وتولى الخلافة بعده علي بن ابي طالب (٦٥٦) وبايعه المسلمون في الامصار والمدن الا دمشق . وكان عاملها معاوية ابن عم عثمان قد اخذ يطالب بدمه ويحرض الناس على قتله فاضطر ان يجاربه وكان بين الجيشين مناوشات لم تأت بنتيجة قاطعة

الخوارج ومقتل علي

وفي ايام علي خرجت طائفة من المسلمين سموها بالخوارج على علي ومعاوية وكان شعارها الحكم لله فقَاتَهم علي وهزهم وظلت طائفة صغيرة تحارب خلفاءه من بعده

وفي سنة تسع وثلاثين هجرية حج ناس من الخوارج فلما انقضى الموسم اقام نفر منهم في مكة وقالوا «كان هذا البيت معظماً في الجاهلية جليل الشأن في الاسلام وقد انتهك هؤلاء حرمة (علي ومعاوية) فلوا ان قوماً شروا انفسهم فقتلوا هذين الرجلين اللذين افسدا في الارض واستحلا حرمة هذا البيت استراحت الامة . واختار الناس لهم اماماً فقال عبد الرحمن بن ملجمة المرادي «انا كفيكم امر علي» وقال الحجاج بن عبد الله «وانا كفيكم معاوية» وقال عمرو بن بكر «والله ما

عمرو بن العاص بدونها فأناله « فتعاقدوا على ذلك واتفقوا على يوم واحد يكون فيه وقوع القتل »

وقدم عبد الرحمن بن ملجمة الكوفة وكنتم امرده وتزوج امرأة يقال لها قسطام بنت علقمة وكانت خارجية مثله فلما كان اليوم الذي تواعدوا فيه خرج من البيت وقعد لعلني حتى اتى لصلاة الصبح وذلك صباح كانون الاول (٦٦١) فوثب عليه وقال « اخكم الله لا لك يا علي » وضربه على قرنه بالسيف فقال علي « فزت ورب الكعبة لا يفوتكم الرجل » فشد الناس عليه فاخذوه ولم يذوق رقيقا في قتل معاوية وعمرو بن العاص وكان نصيب الثلاثة المتأمرين القتل

ولما قتل علي بن ابي طالب ثار الناس الى الحسين بن علي بالبيعة فلما بايعوه قال لهم تبيعوني على السمع والطاعة وتحاربون من حاربت وتسلمون من سلمت فرضوا بذلك وكتب هو معاوية فخلا به واصطاحا على ان تكون الخلافة للحسن بعد معاوية . فانتقلت بذلك الخلافة والملك من ابي هاشم الى بني امية

...

اسئلة

- ١ - لماذا تقدم العرب الى سوريا ؟
- ٢ - تعرف عن معركة اليرموك ؟
- ٣ - كيف كان مقتل عمر بن الخطاب ؟
- ٤ - من ثم خويج و. هي مبدئهم ؟
- ٥ - كيف انتقلت خلافة بني امية ؟

الفصل الحادي عشر

سوريا في عهد الامويين ٦٦٠ - ٧٥٠

• معاوية ودهائه • بطانة معاوية • تأثير السوريين في نجاحه
• لئولة الاموية • دولة عربية لا سورية

معاوية بن ابي سفيان ٦٦٠ - ٦٨٠

استعمل امير المؤمنين عمر بن الخطاب معاوية بن ابي سفيان على سوريا خلفاً لشقيقه يزيد وكان معاوية ادهى بني امية واشدهم جرأة واكثرهم حزمًا واعلمهم بشؤون الادارة والوان السياسة وقد ساعده الحظ فازل من طريقه الكثيرين من رجال العرب فلما كان مقتل علي ابن ابي طالب تطلمع فامير من يندعه الخلافة الا ابناء علي وهم ضعاف في الرجال والاموال وليس لديهم دهاء معاوية ولا حزم بن ابي سفيان وكانت بطانة معاوية من العرب السوريين من خلّص القوم له واشدهم رغبة في معاوضته ذلك نمصية كانت تتنازعها مع قبائل العراق ورغبة منها في استبداد قاعدة البك في الشام وفي ذلك نفع ظاهر وخير كبير. لا جرم ان معاوية قد استعان بالسوريين واستفاد منهم ولكن القول ان دولة بني امية سورية وان السوريين الفضل لا كبير في تأسيسها وامتد نفوذها قول مردود لان السوريين لم يكونوا قد افرج عن

روعهم من روعة الفتح ولم يكونوا قد ثابوا الى رشدهم من هول الانقلاب ولم يكن الخلفاء ليلقوا بين ايدي السوريين مفاتيح ملكهم ولا ليجعلوا لهم من الامر شيئاً فان كان ثم امر استفادة الامويون من السوريين فهو في تجهيز بعض الجيوش وفي صناعة المراكب والابحار وأما الرأس المدير فقد كان دائماً عربياً مضرياً خذ مثلاً لذلك حكام المقاطعات الاسلامية ايام الامويين واستعرض اسماء قواد الجيوش في عهدهم تر انها كانت عربية مضرية لا سورية ارامية

اصلاحات الامويين

لقد عمل الامويون كثيراً من الاصلاحات الادارية فمعاوية أنشأ مصلحة الديوان لضبط الاموال وقيد المدخل والمصرف ووكّل القيام بهذا الامر الى ابن سرجون وهو سوري مسيحي ، ونظم البريد دائرة خاصة ، كان الخليفة يرسل بواسطتها اوامره الى عماله في اطراف المملكة ؛ وكانت النقود المتداولة في سوريا رومانية فابدها عبد الملك بن مروان بنقود اسلامية عربية ، وكان ديوان الخلفاء يكتب باللغة الرومية ، - وهي كما قدمنا من اللغات الرسمية في الشرق القديم - حتى ابدله عبد الملك بالعربية

الصناعات

و كانت الصناعات في عصر الامويين في ايدي السوريين من المسلمين والنصارى فقد كان العرب يأنفون من العمل ويعدونّه حطة لهم ، ولا تزال توجد الى اليوم نماذج من الصناعة السورية في البناء

والزخرفة وذلك في مسجد بني امية في الشام والجامع الاقصى في القدس
العلم

اما العلم والتعريب فقد زرعت بذوره في عهد الامويين فقط ولم
يشمر الا في العهد العباسي ، واما الشعر فقد كان قائلوه من العرب وكان
لهم مذهب جديد فيه غير مذهب الجاهليين ، فقد تركوا حوشي الكلام
ورصعوا كلماتهم بضروب جديدة في الوصف والمدح لم تكن معروفة
من قبل

العراك بين السريانية والعربية

اما العراك بين السريانية الارامية والعربية لغة الفاتحين فقد كان
شديداً وكان بعض ابناء الساحل يتكلم اليونانية ، والظاهر ان سوريا بقيت
سريانية بلغتها ودينها وقوميتها في كل العصر الراشدي ومعظم العصر
الاموي وانها لم تستعرب الا تدريجاً في اواخر الدولة الاموية . بيد ان غلبة
العربية على السريانية لم تتم في وقت واحد في كل انحاء سوريا ، فقد نجح
القول ان فوز العربية على السريانية في المدن والسواحل تم في خلال
القرن العاشر والحادي عشر وفي الداخلية في القرن الثالث عشر واما في
لبنان فقد تأخر حتى القرن السابع عشر واولئل القرن الثامن عشر

اسئلة

- ١ - من هو معاوية بن ابي سفيان ؟
- ٢ - ما هي الاصلاحات الاموية في سوريا ؟
- ٣ - تكلم عن الصناعة والعلم في عصر الامويين ؟
- ٤ = لمن كان النصر في العراك بين السريانية والعربية

الفصل الثاني عشر

سوريا في عهد الامويين ٦٦٠ - ٧٥٠

السواحل في عهد الامويين - الامويون والمردة - موك بني أمية

الحركة العباسية - الهيئة الاجتماعية

السواحل في عهد الامويين

لما ظهرت جنود العرب بدمشق واستخلف ابو عبيدة الجراح يزيد بن ابي سفيان على دمشق سار هذا في جيش صغير من العرب سنة ٦٣٥م الى السواحل السورية وعلى مقدمته اخوه معاوية فافتتح جبيل وصيدا وعرة وبيروت ، وجلا كثير من اهلها - وكثروا من الروم على الاربع - الى بلاد الروم ، ثم لما غاب الروم على هذه السواحل في اواخر خلافة عمر بن الخطاب وادل خلافة عثمان قصدهم معاوية وردهم ، ورمم المدن الساحلية وشحنها باقاتلة والجنود

الامويون والمردة

والظاهر ان معاوية خشي على هذه السواحل من ناس الروم فستدعى قوماً من الفرس يستوطنونها وكانت فينيقية في ايام الخلفاء الامويين منوطة بدمشق وبيروت عاصمتها ، فلما اراد معاوية غزو جزيرة قبرص عمر الراكب في بيروت لهذه الغاية وجيز فيها الجيش لمحاربة الروم . اما

لبنان فلم يتمكن العرب من التغلب على غير سفوحه القريبة من البحر
لوعودة مسالكه ولتحصن اللبنانيين في مغاوره ولا سيما بعد ان اوفد
اليه ملوك الروم قوماً من جندهم يعرفون بالمردة كانوا في جبال كيليكية
وعدهم اثنا عشر الفا من الجنود وكلوا اليهم امر الدفاع عن لبنان . وقد
دوخ هؤلاء الساحل واتبعوا الامويين في اوائل حكمهم ولا سيما حين
شغل عبد الملك بن مروان بحروبه مع ابن الزبير فاضطر الى مصالحتهم
ومصالحة ملك الروم وادى لهم بعض الاموال وذلك سنة ٧٠ هجرية
وكان هذا الزمن قصير فلما تفرغ عبد الملك من حروبه الداخلية عمد
الى مناوئتهم وتمكن من اجلائهم بعد ان حارب الروم في ارضهم في اسيا
الصغرى فارسل ملك الروم الى المردة ان يتركوا لبنان الى منازلهم الاولى
وعمل الخليفة عبد الملك بعدها على تحصين السواحل بالمقاتلة ورمم
المهدوم منها

وكانت الدولة الاموية تحسن الى رعاياها وتجدد في تأليف
قلوبهم وتتساهل معهم في امور دينهم وعلى الاخص اول حكمها لقلة
العرب المتوطنين و كثرة الوطنيين من المسيحيين والموالي

ملوك بني أمية

ملك معاوية عشرين سنة ، وهو اعظم رجل انجبه الامويون ،
فهو مؤسس ملكهم وموطد سلطتهم ؛ وكان كثير الحلم واسع الصدر ،
فلما توفي تداول العرش الاموي بعده غير واحد من كبار الرجال امثال
عبد الملك بن مروان (٦٨٥ - ٧٠٥) وهشام بن عبد الملك (٧٢٤ - ٧٤٣)

وفي عهده تمكن الفرنج من رد العرب في الاندلس عن التوغل في اوربا في معركة بواتيه الشهيرة . وعمر بن عبد العزيز وهو اصلح ملوكهم واعدلهم سيرة ، وبلغت الدولة الاموية اوج عزها في ايام الوليد الاول (٧٠٥ - ٧١٥) فقد بلغت حدود الدولة العربية بلاد تركستان شرقاً واسيا الصغرى غرباً

الحركة العباسية

ودب الضعف في ملوك الامويين الاواخر فاغفلوا النظر في شؤون اصلاح ومصالح الرعية واستبد بالشؤون نفر من الولاة تعاملوا عن الشر قبل وقوعه ، وكان العباسيون قد اخذوا اهبتهم سرّاً للثورة ، وجمع ابو مسلم الخراساني حوله من والاه من سكان خراسان وغيرهم من العرب واخذ يناجز فلول الامويين في اطراف خراسان حتى غلب مروان الثاني اخر بني امية في معركة الزاب سنة ٧٥٠

واعمل العباسيون السيف في الباقيين من بني امية فلم ينج منهم الا القليل اشهرهم الامير عبد الرحمن مؤسس الدولة الاموية في الاندلس

الهيئة الاجتماعية

وكان الناس ايام بني امية طبقات ثلاثاً اولها العرب ومنهم الزعماء والجنود ولهم الارزاق والغنائم يتقاضونها من بيت المال ، وكان عددهم لا يزيد عن مائتي الف نسمة بين اربعة ملايين من السوريين وثانيها الذميون وهم غير المسلمين ولم يكن لهم حقوق سياسية ، ولكنهم كانوا يتعاطون التجارة والصرافة وبقية الصناعات

وثالثها العبيد وهم جمهور كبير كانوا يزيدون بتوالي الحروب وكانوا
يزاولون الفلاحة والصنائع لحساب مواليهم
وكان الذميون في عيشة راضية أيام بني أمية جمعوا الثروات الكبيرة
وعاشوا آمنين مطمئنين على ارواحهم ومتاجرهم

الحالة الاقتصادية - الحركة الفكرية

أما الزراعة فكانت زاهرة في هذا العهد، وكان الناس ينصرفون
إلى زراعتهم وأراضيهم يستثمرونها بحمد واهتمام وكانت سوريا تصدر بعض
محصولاتها إلى آسيا الصغرى بطريق حلب
أما الحركة الفكرية الأدبية فكانت ضعيفة تكاد لا تتلمسها إلا
في الشعر وأشهر شعراء العرب في عهد الأمويين : جرير ، والفرزدق ،
والأخطل

...

اسئلة

- ١ - من هم المردة ؟
- ٢ - اذكر ما تعرفه عن ملوك بني أمية ؟
- ٣ - لماذا دب الوهن إلى الدولة الأموية ؟
- ٤ - تكلم عن الهيئة الاجتماعية والحالة الاقتصادية والفكرية عهد الأمويين ؟

الفصل الثالث عشر

سوريا في عهد العباسيين (٧٥٠ - ٩٧٧)

حوادث لبنان ، الحضارة الاسلامية ، الصناعة في سوريا

العباسيون في سوريا

ولما انتهت الدولة الاموية وانتقلت العاصمة من الشام الى بغداد ، وقام العباسيون بالامر بعدها اصبح العراق مركز الدائرة وقطب الحركة العربية الاسلامية

اهمية سوريا

ولقد ادرك العباسيون ما لشغور الشام من الاهمية والشأن فأمروا بتحسينها . واول من قام بذلك ابو جعفر المنصور واتم العمل بعده المهدي . قال معاوية بن عمرو عن هارون الرشيد وخلفائه « وقد رأينا من اجتهاد امير المؤمنين هارون الرشيد في الغزو ونفاذ بصيرته في الجهاد امرأ عظيماً اقام من الصناعة ما لم يقم قبله وقسم الاموال في الشغور والسواحل واشجى الروم وقمعهم » ، وامر المتوكل على الله بترتيب المراكب في جميع السواحل وان تشحن بالمقاتلة وذلك في سنة ٨٦١ م

حوادث لبنان

ومما توسل به ابو جعفر المنصور لتثبيت ملكه ولتحسين ثغور الشام

انه ارسل قبيلة من المسلمين لتخلف المردة باحتلال الجبل ، وهي ارومة
التنوخيين الذين قدموا الى ضواحي بيروت واحتلوا اواسط لبنان
واقاموا بهامند بدء استيطانهم

ومما لا خلاف فيه ان التنوخيين نزلوا غربي لبنان ٧٣٦ م والغاية
من نزولهم صد الروم والوقوف بوجه اهالي الجبل ان رغبوا في الثورة
والخروج على الخليفة ، وقد نزل الامير ارسلان احد رؤسائهم محلة رأس
البيدر وقطن الباقون جهات بيروت وصيدا وهذه هي القبيلة الاولى
من العرب تدخل لبنان ؛ اما الموارنة فقد ظلوا في شمالي الجبل يدبرون
امورهم بانفسهم ويدفعون الجزية على ايدي رؤسائهم مخلصين للطاعة والانقياد
واخبار لبنان وفينيقية نزرعة قليلة في عهد العباسيين فقد كانت
المدن الساحلية تستوقف الانظار دون غيرها في ذلك العهد

سوريا والعباسيون

ولم يسكن السوريون الى العباسيين وحكومتهم ؛ فقد نادوا غير
مرة عليهم ، ولكن مساعيهم اخفقت لاختلافهم وتمزق شيعهم ، وكثيراً
ما كانوا يحماون العلم الابيض شعار الامويين لان الاسود كان شعار العباسيين
وينصبون عليهم احد الامويين ، بيد انهم كانوا قليلي الحظ في ثوراتهم
هذه ، فكان يرسل العباسيون جندهم عليهم يمزقون شملهم ، ويقضون
على ثورتهم

الحضارة الاسلامية في هذا العهد

اما الحضارة الاسلامية فقد بلغت مر كزاً سامياً في عهد العباسيين

وكانت بغداد كعبة العلم يقصدها الطلاب والشعراء والكتاب من كل حذب وصوب وقد كثرت الترجمة عن اللاتينية واشتغل الكثيرون بالعلوم الفلسفية واشتهر جماعة بالادب والشعر ومن شعراء العصر العباسي أبو الطيب المتنبي ومروان ابن أبي حفصة وبشار بن برد وأبو تمام وأبو العلاء المعري ومن كتابه ابن المقفع والجاحظ وسهل بن هارون ومن فلاسفته ابن سينا وغيره

الصناعة والتجارة في سوريا

أما سوريا فقد امتست ولاية من الولايات فكان السبق للعراق في الادب والعلم واستبقت لنفسها التجارة والصناعة فكانوا يصنعون الاقشة الشمينة والزجاج في حلب ودمشق وصور ويصدرونها واشتهرت دمشق خصوصاً بصنع الفولاذ وبمحصولات ارضها من سكر ولوز وزعفران

وظلت سوريا ملتقى الطرق التجارية العالمية فكانت القوافل تقصده من فرنسا واسبانيا فشمسني أفريقيا ومنها تذهب الى بغداد وبلاد فارس و الهند

أسئلة

- ١ - هل كان لسوريا أهمية سياسية في أيام العباسيين ؟
- ٢ - ماذا تعرف عن السواحل في عهد العباسيين ؟
- ٣ - من هم التنوخيون ؟
- ٤ - ما الذي تعرفه عن الحضارة الاسلامية في هذا العهد ؟
- ٥ - تكلم عن الصناعة والتجارة السورية ؟

الفصل الرابع عشر

تداول الدول والممالك

سوريا في عهد الطولونيين والاشيدين والفاطمين والسلاجقين

٩٧٧ - ١٠٩٨

الدولة الطولونية

لما ضعفت الدولة العباسية كانت السواحل من نصيب الدول التي
تولت الامر بعدها كانت الدولة انطولوجية المنسوبة الى (طولون التركي)
اول الدول التي انتزعت سوريا وتوابعها من ايدي الخلفاء العباسيين . كان
طولون التركي احد موالي الخليفة المأمون وكان ذا حظوة لديه ، وخلفه
ابنه احمد في حظوته لدى الخلفاء فتولى مصر سنة ٨٦٨ وعز فيها ثم استقل
بالسلطة وخافه الخليفة فقلده الشام ايضاً ، اكتفا ، شره ، وورثها عنه ابنا و
من بعده حتى انقرضوا سنة (٩٠٥) م

توالي الدول على سوريا

فعاد اخلفاء العباسيون وارسلوا الى الشام عمالاً يقومون بتدبيرها فلم
تظل مدتهم اكثر من ثلاثين سنة اذ قام وال اخر من ولاية دمشق يدعي
محمد بن طنج الاشيدي ، فانشأ الدولة الاشيدي في دمشق سنة ٩٣٥

ملكّت الى سنة (٩٦٩) فخلفتها بالشام الدولة الفاطمية حتى ايام الصليبيين .

الفاطميون في سوريا

والفاطميون ينتسبون الى السيدة فاطمة بنت النبي عليه السلام .
ظهروا اولاً في تونس ثم امتدت دولتهم الى مصر فاخضعوها ودخلوا
بعدها سوريا فلم تستقر سلطتهم عليها تماماً ولم يدخل في طاعتهم غير
سكان المدن

وفي اواخر الدولة الفاطمية ظهرت في سوريا الدولة السلجوقية المعزوة
الى سلجوق بن تقاق من امراء الترك فاستولى احد اولاده طغرول على
خراسان سنة (١٠٤٠) وزحف على بغداد وسارعنها الى الموصل ففتحها
ومات بلا عقب . فافضت السلطة بعده الى الب ارسلان بن داود اخيه وهو
الذي اسر رومانوس الرابع ملك الروم في وقعة الكبادوك . وسنة (١٠٧٠)
سار الب ارسلان الى حلب وافتتحها وافتتح احد امرائه الرملة وبيت
المقدس وحاصر دمشق فاعتاصت عليه وقتل الب ارسلان (١٠٧٣ م)
وخلفه ابنه ملكشاه وبعد ثلاث سنوات دخت دمشق في حوزة السلجوقيين
واغتتم ملك مصر الفاطمي حدوث بعض الاختلافات بين الامراء
السلجوقيين فساق بعضاً على سوريا واستولى على صور وصيدا وعكا
وجبيل فصارت الشواطيء السورية الى ايدي الفاطميين .

ولما توفي السلطان ملكشاه سنة (١٠٩٣) تنازع السلجوقيون بمعه
السلطة ووقعت حروب شديدة بين الاحزاب المختلفة فاسرعت عوامل

التجزئة في الدولة السلجوقية في سوريا وظلت سواحل فلسطين وسوريا تحت سلطة الفاطميين وانقسم باقي الجهات الى عدة اعمال مستقلة . وفي هذه الاثناء قدم الصليبيون الى البلاد

ومما يذكر في هذه المناسبة ان النصيرية وهم شيعة افترقت عن بقية الشيع الاسماعيلية العلوية سكنت شمالي لبنان اثناء حكم الفاطميين وكذلك الدروز فقد نشأت شيعتهم في هذه الاثناء ايضاً . واول ما ظهرت في وادي التيم من اعمال سوريا ثم امتدت الى الشوف وهي فيها قوية حتى اليوم

سوريا والسواحل في هذا العهد

قال ابن حوقل وهو من جغرافيي العرب في كتابه المسالك والممالك يصف سوريا وبيروت في هذا العهد :

« بيروت على ساحل الروم . . . وبها يربط اهل دمشق وسائر جندها واليهما ينفرون عند استنفارهم ، وليسوا كاهل دمشق في جفاء الاخلاق وغلظة الطباع ، وهي ذات نخيل وقصب سكر وغللات متوفرة وتجارات البحر عليها دائرة ، وسابلتها غير منقطعة ، حصينة خصينة متينة السور وخصية الاسعار جيدة الامل مع منعة فيهم من عدوهم وصالح في عامة امورهم .

ووصف ايضاً طرابلس فقال انها . فرضة دمشق وانها وافرة الغلات يقيم فيها جند الشام ومنها يخرجون لغزو الروم

وفي سنة ٤٣٨ هجرية تجول في سواحل الشام رحالة فارسي يدعى

(نصري خسرو) فوصف مدن فينيقية وصفاً جليلاً فقد مرّ أولاً بـطرابلس
قادماً إليها من حلب فوصف حدائقها الغناء ومزارعها من قصب السكر
والموز والنخل والتارنج ووصف أسوارها المنيعة، وأسواقها النظيفة
ودورها من أربعة طوابق إلى ستة؛ وكان أهلها حينئذ على مذهب الشيعة
ولا يزدون عن عشرين ألفاً وكان فيها معمل لورق الكتابة وكانت طرابلس
في ذلك الوقت في حوزة ملوك مصر الفاطميين وقد أعفوها من الضرائب
لأمانة أهلها معهم في حروبهم مع الروم

ثم مرّ بالبترون وجبيل فقال عن الأخيرة أنها مثلثة الزوايا قاعدتها
شاطيء البحر وأنها محصنة بأسوار عالية غاية في المتانة يحدق بها النخيل
وكثير من الأشجار

وقد أشار في طريقه بين بيروت وجبيل إلى قناطر وأعمدة عظيمة
لأشك أنها من بناء الرومان درست وذهبت آثارها، ولما وصل خسرو
إلى صيدا أعجبه متانة أسوارها، وكلها من الحجر المنحوت ولها ثلاثة
أبواب ووصف حدائقها بالجمال، ثم تخطى إلى ذكر صور وبنائها العجيب
على صخر ممتد في البحر وأسوارها المحدقة بها ومعظمها في البحر وكانت
تأتيها الماء بقناطر من الجبل

اسئلة

- ١ = كيف قامت الدولة الطولونية ؟
- ٢ = ما تعرف عن تداول الدول في سوريا ؟
- ٣ = من هم السليوقيون ؟
- ٤ = تكلم عن الحالة في سوريا والسواحل في هذا العهد ؟

الفصل الخامس عشر

سوريا الافرنجية ١٠٩٨ - ١١٤٤

المعاهدات الاولى - فتح اورشليم - المملكة اللاتينية

الافرنج في سوريا

بدأ الافرنج منذ القرن الرابع بعد المسيح بالتزول الى سوريا فكان الكثيرون منهم يزورون فلسطين ودمشق ولبنان عهد الرومان؛ فلما انقضى ذلك العهد وتغلب العرب على البلاد خفت حركة الزيارة، لما وجس المسيحيون الافرنج من خوف اذا هم زلوا الاراضي المقدسة دون اتفاق سابق مع السلطات العربية فيها

المعاهدات الاولى

ذلك هو السبب الاول الذي دعا الى عقد المعاهدات في القرن التاسع بين الخلفاء العباسيين وملوك الفرنجة، وقد رعب الخليفة هارون الرشيد في محالفة شارلمان، اذ بلغه انه يحارب الامويين في الاندلس، وان بينه وبين ملك الروم منافسة وعداوة وكان ذلك رغبة منه في الاستفادة من هذا التنازع بين امراء الفرنجة. ولما استلم شارلمان مفاتيح كنيسة القبر المقدس من بطريرك الاورشليمي عمل على استحصال حق الحماية على الاماكن المقدسة واجارة مسيحي الشرق، فزادت بعد ذلك وفود الزائرين الحاج، وانشئت المؤسسات اللاتينية في اورشليم اسعافاً للزوار

ولمسيحي الشرق ، وعينت لها الاوقاف

فلما تولى الخلافة الحاكم بأمر الله الفاطمي (٩٩٦ - ١٠٣٠) هدم
كنيسة القبر المقدس وضيق على المسيحيين واضطهدهم اضطهاداً شديداً
فاستنصروا البابا في رومية وهذا استصرخ ملوك اوروبا وقادة فرسانها
فلجأ منهم عدد غفير زحفوا على الشرق بطريق القسطنطينية

فتح اورشليم

ولقد انتصر الصليبيون في حملتهم الاولى انتصارين باهرين مكناهم
من الاستيلاء على البلاد اولهما فتح انطاكية في ٣ حزيران سنة ١٠٩٨ م
بعد حصار دام ثمانية اشهر ، وثانيهما فتح بيت المقدس في ١٥ تموز
سنة ١٠٩٩

ودخل (غدفري دي بوليون) زعيم الصايبيين القدس الشريف وزار
قبر السيد المسيح حافياً واقب نفسه بلقب (بارون القبر المقدس)

المملكة اللاتينية

وبعد فتح اورشليم سقطت عسقلان ثم مدن الساحل كلها كمكاً
وطرابلس وبيروت وصور وصيدا (١١٠٠ - ١١٣٤) وحف الافرنج
مرتين على دمشق فامتنعت عليهم خزانة اسوارها فهادنوها على ان تؤدي
لهم الجزية

وبلغت المملكة اللاتينية غاية امتدادها نحو سنة ١١٤٤ فكانت
مؤلفة من اربع اقطاعات واسعة او امارات خاضعة للملك بموجب عهد
بينه وبين اصحابها وهي

- ١ - امارة الرها شرقاً - كانت تمتد على شاطيء الفرات
 - ٢ - امارة انطاكية شمالاً - وكانت تبسط حمايتها على كليسيا
 - ٣ - امارة طرابلس من قلعة المرقب الى نهر الكلب
 - ٤ - مملكة اورشليم وكانت تشمل فلسطين كلها
- ولم يملك الصليبيون المدن الداخلية الكبرى كحلب وحماة وحمص
وبعلبك ودمشق فاكثفوا بالجزية يأخذونها
وابتنى الصليبيون قلاعاً حصينة في الجبال وعلى سواحل البحر ،
وفي الداخلية حماية للبلاد من غارات المسلمين وتأميناً للطرق ، منها
حصن الاكراد وبرج صافيتا ومارقب وعرقه وقلعة الشقيف في جنوبي
لبنان

...

اسئلة

- ١ = كيف بدأ الافرنج بالزول لسوريا ؟
- ٢ = ما تعرف عن المعاهدات الاولى ؟
- ٣ = ما اسباب الحروب الصليبية ؟
- ٤ = اذكر انتصارات الصليبيين الاولى وتأثيرها
- ٥ = صف المملكة الاسلامية في سوريا

الفصل السادس عشر

انحطاط المملكة الافرنجية في سوريا

١١٤٤ - ١٢٩٠

انحطاط المملكة ، صلاح الدين الايوبي ، معركة حطين ، الافرنج في سوريا

انحطاط المملكة

ولقد ظهر الانحطاط في مملكة الفرنج بسرعة ، وسبب ذلك ابتعادهم عن بلادهم ووجودهم في اقطار هم اغراب عنها واهلها اعداء لهم ، وعدم اتحاد كلمتهم فاغتنم الفرصة بعض امراء المسلمين المستقلين كالامير زنكي امير الموصل ، وهاجم مدينة الرها فافتتحها (١١٤٤) ، فتحررت لهذا الخبر الحملة الصليبية الثانية ولكنها لم تأتي بعمل يذكر

الدولة الفاطمية وصلاح الدين

وكانت الدولة الفاطمية في هذا العهد آخذة بالانحطاط والتلاشي فقطع فيها نور الدين سلطان دمشق ، ووافد الى القاهرة شير كوه الكردي فاستوزره الفاطميون واستبد بالاحكام دونهم ، وتصدر الوزارة بعده ابن اخيه صلاح الدين الايوبي ، وصار الامر اليه بعد وفاة اخر الفاطميين (١١٧١) فانشأ الدولة الايوبية ، ولما توفي السلطان نور الدين صاحب دمشق ضم صلاح الدين دمشق اليه وسار لمحاربة الصليبيين فكسره كسرة شنيعة في معركة (حطين) بين الناصرة وطبرية في ٤ تموز سنة (١١٨٧)

ثم ضرب الحصار على اورشليم ففتحها صلحاً في ٢ تشرين الاول سنة ١١٨٧، ثم استولى على سائر المدن الفلسطينية السورية ولم يتمتع عليه الا انطاكيه وطرابلس وصور

انتهاء الدولة الافرنجية

جند الصليبيون حملة ثالثة، قال نزاعهم دون نجاحهم، وحالفوا المغول فلم تجدهم هذه المحالفات نفعاً، فقد حمل الملك الظاهر بيبرس^(١) في وقعة عين جالوت في مرج بني عامر قرب بيسان ايلول (١٢٦٠) على الحلفاء فسحقهم

وقام ابنه قلاوون^(٢) فواقع المغول في سهل حمص وكان قد انضم اليهم ثلاثون الفا من الفرنج والارمن وهزمهم بمساعدة العرب

وخلفه ابنه الاشرف^(٣) بعده ف ضرب الحصار على عكا في ١٢ نيسان (١٢٩١) فاستبسل الصليبيون في الدفاع عنها ولكنها افتتحت عنوة

واستولى الملك الاشرف بعد ذلك على سائر المدن التي كانت في يد الفرنج اي صور وحيفا وصيدا وبيروت وطرطوس وغيرها فخرجت سوريا كلها داخلها وساحلها من يد الصليبيين فكانت مدة احتلالهم للبلاد من حين فتحهم انطاكيه سنة ١٠٩٨ حتى خروجهم من عكا سنة ١٢٩١ مئة وثلاثاً وتسعين سنة

(١) الملك الظاهر بيبرس من اشهر ملوك المماليك الذين ظهروا في مصر وسياقي

خبرهم في الفصل القادم وقد حكم من ١٢٦٠-١٢٧٧

(٢) ١٢٧٨-١٢٩٠ (٣) ١٢٩٠-١٢٩٣

سوريا في عهد الافرنج

كانت مملكة الافرنج مؤلفة من اقطاعات مقيدة فيها سيادة الممالك
 بسلطة طبقات الامة الثلاث : الكليروس والاشراف والاعيان .
 وكان من نتائج الحملات الصليبية ان تعرف الشرق على عوائد الغرب ؛
 والغرب على عوائد الشرق وزادت التجارة بين مدن الغرب مثل بيزه
 وجنوى ، والبندقية ، ومرسيليا ، ومدن سوريا كحلب ودمشق والمدن
 الساحلية وكان التجار الاوربيون يؤمون هذه البلاد طالبين الاتية
 الخزفية الثمينة والزجاج المتقن الصنعة ، والعطور ، وسمكر القصب ،
 وكثر البناء والعمار في سوريا ، واخذ الافرنج يقلدون العرب في بنائهم
 وملابسهم وعاداتهم^(١)

...

اسئلة

- ١ - عدد الاسباب التي دعت الى المخطاات المملكة الصليبية ؟
- ٢ - اذكر ما تعرفه عن الدولة الفاطمية وصلاح الدين الايوبي ؟
- ٣ - اذكر حملات الصليبيين الاخيرة على الملوك المسلمين ؟
- ٤ - ما تعرف عن سوريا في عهد الافرنج ؟

(١) وقد ضرب الامراء الافرنج الذين حكموا سواحل لبنان في هذا العهد النقود
 باسمهم ، وكانت الكتابة عليها غالبا باللاتينية ومنها ما هو بالفرنسية والعربية ضربها
 امراء عكا وصور وبيروت وطرابلس بالحرف الكوفي على مثل النقود الاسلامية
 مع رموز نصرانية وآيات كتابية

الفصل السابع عشر

سوريا في عهد الممالك

(١٢٥٢ - ١٥١٦)

اصل الممالك ، الفرنجة والسواحل ، تحصين السواحل

اصل الممالك

ولما اضمحت سلطة الصليبيين في المشرق صار لبنان وسواحل الى حكم دولة الممالك المصريين المتولين على الشام وهؤلاء الممالك خافوا الدولة الايوبية وانما دعوا بالممالك لانهم كانوا في الاصل من رقيق الجركس والتركان باعهم النخاسون في مصر فدخلوا في خدمة ملوكها ثم نما عددهم وزاد نفوذهم حتى صار الامر الى يدهم وتولوا السلطة على مصر والشام بعد الايوبيين خلفاء العباسيين عليها

الفرنجة والسواحل

وكان اول ما سعى اليه هؤلاء الملوك اخراج الصليبيين من المدن الساحلية ، ولما تم لهم ذلك عملوا على تحصين سواحل الشام مخافة ان يعودوا الى مهاجمتها كما فعلوا من قبل لاسيما وانهم كانوا لم يبرحوا جزيرة قبرس ورووس يرقبون منها عن كسب سواحل الشام ، وكانت سفنهم كثيراً ما ترد السواحل مشحونة بالقاتل فتردها الحاميات على اعقابها .

وفي سنة ١٣٠٤ توجه اسطول من مراكبههم الى صيدا فاخذوها وقتلوا جماعة من اهلها واسروا اخرى ونهبوا شيئاً كثيراً . وفي هذا الوقت ايضاً استولى بعض الفدائيين الهيكليين على جزيرة ارواد فلكوها مدة ثم اضطروا الى تسليمها

وعادت سفن الافرنج الجنوبية سنة ١٣٣٨ فنزلوا بيروت واخذوا الاعلام السلطانية وقتلوا جماعة من المسلمين ثم حضروا ايضاً سنة (١٣٨٨) فاخذوا صيدا وهموا بفتح بيروت فلم يفلحوا فعادوا ادراجهم الى قبرس ، وبعد ايام رجعوا الى بيروت فحاربوا اهلها ونزلوا ينهبونها ولكن المسلمين تضافروا عليه وأجلوهم

تحصين السواحل

فهذه الحملات كلها ظهرت ملوك مصر ونوابهم في الشام حاجتهم الى تحصين السواحل وحراستها من الاعداء . فرموا الاسوار واقاموا الاستحكامات عليها فكف الافرنج عن غزواتهم بل اتخذت الدول الأوروبية تسعى في عقد معاهدات تجارية مع الشرق لاسيما مصر وسواحل الشام بعد ما اختبروا غنى البلاد بضررب الخيرات واصناف المتاجر ولنا على ذلك شواهد في الكتابات الرسمية والعهود الدولية التي نشرت في الأزمنة الاخيرة وخصوصاً بين سلاطين المماليك وحكام البندقية وجنوى واهل بيته وتجار قبرس ومن سبيليا وترويجا لهذه المعاملات التجارية اقيمت منذ ذاك العهد القنصليات ، وقد سبقت البندقية جميع الدول في ذلك فكان لها منذ ايام الصليبيين بموجب معاهدة تاريخها ١١٢٣ قاصد في صبور

وجبيل وانطاكية وكان للقنصل مجلس شوري من اهل ملته ، وقد ثبت هؤلاء القناصل في مهمتهم بعد الصليبيين ، وثالوا انعامات خاصة من امراء البلاد فابتنوا لهم فنادق وتعاملوا مع الوطنيين بنقودهم فراجت كثيراً وسر بها الناس

لبنان واخباره

وليس للبنان وسواحله ما يستحق الذكر في زمن المماليك المصريين الا انهم جعلوا لهم نواباً في المدن الساحلية كعكا وصيد وطرابلس وكان مرجعهم الى نائب دمشق الذي كان في يده الحل والعقد وفي هذا العهد صارت الشهرة لبعض الاسر من الامراء وقد سبق ذكر المعنيين منهم والشهابيين وعرف اذ ذاك آل عساف وهم من التركمان

اما التنوخيون فانهم ما فتئوا بعد الصليبيين في ترق ونجاح وجعلت بيروت في عهدهم للمدافعة عن ساحل الدامور ، وقد بلغ آل تنوخ في هذا العهد اوج عزهم ونبع فيهم كثير من رجال السيف ، وقد ثبتوا في امارتهم على لبنان الغربي الى ما بعد افتتاح التركي العثماني فكسفت شمس الامارة التنوخية ، وسطع نجم المعيين بعد خمولهم

نظم سوريا في عهد المماليك

وتقد قسم المماليك سوريا الى ست ولايات دعوها نيابات وهي دمشق وحلب وحماة وطرابلس وصفد والكرك ، واقاموا عليها نواباً من طرفهم .

لبنان ونظامه

اما لبنان فكان نظامه خاصاً به ، فكان الدروز يسكنون اواسطه

الى المقاطعات الجنوبية وكان الموارنة يسكنون جهة جبيل حتى
الارض، وعلى شاطئهم النصيرية من العلويين
حملة كسروان

وكان اهل الشيعة من نصيرية ومتاولة ودروز في نزاع متواصل
يجاربون المسلمين السنيين، فسير المماليك عليهم الحملة الكسروانية
(١٤٠٥) فزحف نواب دمشق وطرابلس وصفد بخمسين الف جندي
قاتلوا الكروم وخربوا المساكن وقتلوا اكثر العصاة، وحل المسيحيون
عالمهم فكان لهم التفوق في جهات كسروان

...

اسئلة

- ١ - ما اصل المماليك؟
- ٢ - ما كان مصير السواحل بعد خروج الصليبيين؟
- ٣ - اذكر تأثير تحصين السواحل على الافرنج؟
- ٤ - ما اخبار لبنان في هذا العهد؟
- ٥ - كيف كان نظام سوريا ولبنان في عهد المماليك؟
- ٦ - اذكر ما تعرفه عن حملة كسروان؟

الفصل الثامن عشر

سوريا في عهد المماليك

١٢٥٢ - ١٥١٦

المماليك في الداخلية ، الامير تنكيز ، تيمورلنك في سوريا
العصر الادبي الذهبي

المماليك في الداخلية

كان حكم المماليك في سوريا شديداً قاسياً ملوئاً بالفوضى والاضطرابات فقد كان يحدث احياناً ان يتناوب كرسي الملك اربعة او خمسة من الملوك في سنة واحدة ، وليس ابعث على الفساد من مثل هذا الحال في بلاط تملكه الترف ودب اليه الفساد والشقاق ، وكانت سوريا مجزأة بعضها على بعض الى امارات صغيرة ، وكان نائب ملك مصر يقيم في دمشق ويسمى النائب وكان ملوك مصر يخشون ان تحدث النواب نفوسهم بالثورة فكانوا لا يتركونهم في امارتهم الا زمناً قصيراً ، وقد غالى بعضهم فاخذ يعين النائب لشهر واحد فقط

الامير تنكيز

وكان الامير تنكيز اطولهم عهداً واشهرهم حكماً (١٣١٢ - ١٣٤٠) عمل على احياء الزراعة وتميز بالاعمال الاصلاحية ، وكانت له اياد بيضاء على البلاد فزاد في عمارتها وتحصينها وتنعم السوريون في ايامه بوفر العيش

وانصرفوا الى تجارتهم وشؤونهم غير انه عزل واعتقل في سجن الاسكندرية لسبب ظل مجهولاً

وتتابع بعده على نيابة الشام اشخاص اعتمدت المطامع فعملوا على ما فيه منفعتهم وربحهم ، فعمت البلاد بالفوضى ورأى قازان^(١) ان الفرصة سانحة فتقدم الى سوريا (١٢٩٩) وانزل بالماليك على مقربة من حصص خسارة عظيمة ورددهم على اعقابهم ودخل دمشق ظافراً فاتحاً ولكنه اضطر للرجوع الى بلاد فارس حالاً لما اشتعلت الثورة فيها ، فاغتمت الماليك الفرصة واستعادوا سوريا ، وتمكن الملك الناصر سنة ١٣٠٣ من رد قازان على اعقابهم لما هم بالعودة الى سوريا ثانية في معركة (مرج صفر)

تيمورلنك في سوريا

وفي سنة (١٤٠١) تقدم تيمورلنك الطاغية التتري المشهور الى سوريا فافتتح حلب وترك حمص دون ان يسها بسوء احتراماً لخالد بن الوليد قائد العرب الاكبر ، ولما وصل الى ضاحية الشام ارسل اليها منهم من يفاوضه في الصلح فرضى بذلك وقضى لنفسه غرامة قدرها مليون دينار ، ولكنه لما دخل المدينة حدث بالوعد واخذ يجمع ما تصل اليه يده من المال ، ثم حمل الصناعيين والنقاشيين وارباب الحرف المشهورين من السوريين الى عاصمته سمرقند فاضعف بعماله هذا الصناعة السورية

(١) كان المغول من الداء الماليك في سوريا لثارات ومعارك بين الفريقين ، فلما فسد حكم الماليك في سوريا اغتم قازان احد ملوك المغول هذه الفرصة لاقتحام البلاد ، وضرب الماليك ضربة قاضية .

وافقرها ، وكانت حملته هذه ضربة قاضية على الصناعات والفنون في سوريا

العصر الادبي الذهبي

وان من اغرب مظاهر الحياة في هذا الزمن المضطرب بشؤونه السياسية وحوادثه الحربية رواج صناعة الادب والعلم ولعل سبب ذلك نزوح رجال العلم الى سوريا ومصر بعد سقوط بغداد واشتهر في هذا العصر الكثيرون من اصحاب التلخيصات والمجموعات والتواريخ العامة ، امثال ابي الفداء سلطان حماه وصاحب كتاب التاريخ المشهور باسمه (توفي سنة ١٣٣١) وابن ابي اصيبعه الذي جمع تاريخ الاطباء ، وابن نباته (توفي ١٣١٦) والعمرى صاحب المجاميع توفي سنة (١٣٤٨) . والدمشقي الجغرافي ، وصالح بن يحيى التنوخي مؤلف تاريخ بيروت

اما الشعر فلم ينبغ فيه من يستحق الذكر وكانت اللغة العربية تنازع السريانية نزاعاً شديداً حتي تعلبت عليها واقتلعتها من البلاد

...

اسئلة

- ١ - كيف كان حكم الممالك في الداخلية؟
- ٢ - ما تعرف عن الامير تنكيز؟
- ٣ - ما تعرف عن تيمورلنك واعماله في سوريا؟
- ٤ - لماذا ازهر العلم والادب في هذه الاثناء؟

القسم الثالث

سوريا بعد الفتح العثماني

الفصل التاسع عشر

سوريا في عهد العثمانيين

١٥١٦ - ١٩١٨

الترك في سوريا ، السلطان سليم ولبنان ، تنظيم سوريا ، ثورة الغزالي

الترك في سوريا

ليس يخطي ، الناظر الحدس ، وهو ينظر الى تقدم الدولة التركية وتبسطها في السلطان ، ومنعتها قوة وجنداً ان يقول بانها غالبية سوريا على امرها ، فقد كانت سوريا منذ اول عهدا بالحضارة طعمة سائغة لكل دولة قوية تقوم بجوارها في الشرق القديم . ولما فتح السلطان محمد الثاني القسطنطينة سنة - ١٤٣٥ - ادرك ما لسوريا من الاهمية فهم بفتحها لولا ان عاجلته المنية فاتم الامر بعده السلطان سليم الاول ، بعد ان توسع في هذه البلاد الانقسام والقي اليه منازل بامرائها من الوهن والضعف فتقدم الى سوريا ودخلها من جهة عينتاب واستظهر سنة ١٥١٦ في رقعة مرج

دابق شمالي حلب على الغوري ملك مصر وقتله ، ودخل على اثر الموقعة حلب وحماة وحمص منتصراً فاتحاً ونزل دمشق ظافراً في السنة نفسها ايضاً .

السلطان سليم ولبنان

ولم يدخل السلطان سليم لبنان ولم يرهقه من امره عسراً بل كتب الى امرائه يؤمنهم ويدعوهم اليه وكانوا قد توافدوا عليه في دمشق يعرضون خضوعهم وطاعتهم

وقد روى الدويهي ان الامراء الذين وفدوا على السلطان سليم ومثلوا بين يديه هم الامير قرقاز المعني والامير جمال الدين اليميني والامير عساف التركاني وغيرهم

اما امراء الغرب التتوخيون فلم يفدوا على السلطان الفاتح لانهم كانوا من محالي الممالك الجراكسة فتحذروا منه ، وقد ثبت السلطان هؤلاء الامراء في بلادهم وفرض عليهم جزية صغيرة

وهكذا ظل الحال اقطاعياً في الجبل وكانت الاقطاعات منقسمة الى خطط صغيرة يدير شؤونها امير او مقدم او شيخ وما زال الامراء الذين توالوا على ولاية الجبل ينتخبهم ذوو الاقطاعات عند انقراض الاسرة الاميرية

تنظيم الادارة في سوريا

ولما عاد السلطان سليم من مصر بعد ان فتحها وضمها الى الامبراطورية العثمانية اخذ يعمل على تنظيم الادارة في سوريا ، فاقام عليها جماعة من اخصائه وعين الغزالي وهو من الممالك حاكماً على دمشق مكافأة له

على خدماته للترك في تسهيل الفتح السوري لهم ولما عاد السلطان من حلب الى الاستانة ثار احد الزعماء العرب من البدو فتمكن الغزالي من اخماد الثورة وكبر بعدها شأنه ، وعظم امره .

ثورة الغزالي

ثم حدثته نفسه بالاستقلال في سوريا وكان داهية حاذقاً حكم البلاد بيد من حديد ورأى في المماليك المصريين انصاراً ومساعدين فيجمع حونه منهم اثني عشر الف جندي ولما توفي السلطان سليم الاول خلع العذار ودعا الى الثورة ونادى بنفسه سلطاناً باسم الملك الاشرف في جامع بني امية في الشام

القضاء على الثورة

بيد ان السلطان سليمان ارسل فرهاد باشا مع فرقة من الجند لردّه وبحق ثورته فالتقى الجيشان في قرية القايون على مقربة من دمشق فغلب الترك الغزالي وهلك الغزالي في المعركة وذلك سنة - ١٥٢١ - وكان من اثر هذه الثورة في البلاد ان اخرج الترك من الادارة في سوريا جميع الموظفين المماليك وعينوا بدلاً منهم موظفين من الترك ، وكان لفرهاد باشا نيابة طرابلس وهو موقع مهم نظراً لقربه من البحر وجبال النصيرية ولبنان وداخلية البلاد

تقسيم سوريا

وقسمت سوريا الى ثلاثة اقسام او ثلاث ولايات يحكمها ثلاثة باشاوات الشام وحلب وطرابلس وكان الباشاوات يتداولون بسرعة على

حكم الولايات السورية المذكورة؛ وهو ما زاد البلاد انغماساً في الفوضى والافحلال.

...

اسئلة

- ١ - لماذا تقدم الاتراك الى سوريا؟
- ٢ - من فتح سوريا من سلاطين الاتراك وكيف كان ذلك؟
- ٣ - هل دخل الفاتح لبنان وما هي اعماله فيه؟
- ٤ - من هو الغزالي وما شأنه في سوريا؟
- ٥ - كيف قسمت سوريا عهد الترك؟

الفصل العشرون

سوريا ولبنان في القرن السادس عشر

١٦٠٠

سياسة العثمانيين في سوريا، المناصب بالمراد، السلاطين الترك
لبنان في القرن السادس عشر، نكبة علي لبنان

سياسة العثمانيين في سوريا

بقي ارباب المقاطعات في الدولة العثمانية كما كانوا في دولة المماليك
يضمنون الخراج مقابل اموال يتمهدون بها ثم يظلمون الناس في تحصيل
اضعافها مثل امير عرب الشام مدليج بن ظاهر، وكانت منازل قومه في

سليميه وغيرها والامير فخر الدين المعني الاول حاكم الشوف في جبل لبنان والامير جمال الدين الارسلاني حاكم الغرب في الجبل المذكور؛ وبني شهاب في وادي التيم، وبني الحرفوش في بعلبك وغيرهم وكلهم اشبه بامراء صغار يخضعون الخضوع التام لحكام من الباشاوات الترك. واحسنهم حظاً من كان على صلات حسنة مع الوالي التركي القريب من عمله، واذا غضب الوالي على الامير المتغلب ارسل عليه جيشاً من الانكشارية كما فعل والي دمشق سنة (٩٣٠) هجرية مع امير الشوف فيخرب العسكر قراه، ويستصفي امواله ويأسر اهله ورجاله ويسبي نساءه؛ فعلوا ذلك مرات في لبنان والبقاع وبعلبك ووادي التيم وغيرها وينشأ هذا الغضب من تأخرهم عن دفع الخراج، اما المظالم التي تنزل بالناس فعحدث عنها ولا حرج

المناصب بالمراد

وكان من قواعد الحكومة العثمانية اذا فتحت قطراً ان توسد المناصب الكبرى للترك والصنرى لاهل البلاد ثم تترك القطر وشأنه يتحكم فيه الوالي كما يشاء. ولما كانت المناصب تباع بالمراد في الاستانة كان اكثر الولاة من الساقطي الاخلاق اصحاب الموبقات

السلطين الترك

ولقد كان السلطين الترك في هذا الوقت مشغولين بفتوحاتهم، وكانوا قلما يهتمون لهذا القطر الصغير بجانب امبراطوريتهم الضخمة، ذلك انهم كانوا لا يتطلبون اكثر من ان تقام الخطبة باسمهم وان يدفع لهم

الخارج في وقته وكان سلطان الترك في هذه الفترة سليمان القانوني الذي حكم ٤٨ سنة وحارب اثنتي عشرة مرة كان فيها مظفراً منصوراً ، ولكنه كان بطاشاً فاتكأثار في أيامه اهل حلب ؛ وقتلوا القاضي والمفتي فصدرت ارادته بقتل جميع اهل حلب لولا ان كان في الصدارة رجل عاقل اسمه ابراهيم باشا تمكن من الغاء هذا القرار واكتفى بقتل زعماء الفتنة

حملة على الدروز

ومن الاحداث في الشام ان والي دمشق اياس باشا جهز سنة ٩٣٠ هـ حملة لقتال الدروز في الشوف فانتصر عليهم واحرق قرية الباروك وثلاثاً واربعين قرية . وارسل الى دمشق اربعة اجمال من رؤوسهم وكانت تكثر الدسائس في هذا الحين في لبنان بين بني الحرفوش امراء بعلبك وآل سيفا حكام طرابلس

لبنان في القرن السادس عشر

وكان الدروز في القرن السادس عشر يسكنون غربي لبنان وفي وادي التيم ، وكان يتولى امرهم بضع عشائر اميرية اقدمها آل تنوخ وكان نجم سعدهم قد مال الى الافول بينما نجم المعنيين القاطنين في الشوف اخذ في الظهور والاشراق ، وكان سؤددهم يزداد يوماً فيوماً فسادوا الشوف واصبحت كلمتهم تافذة وسيطرتهم عظيمة وخصوصاً ايام الامير فخر الدين المعني الاول الذي استأثر بالسلطة العليا المطلقة في الطائفة الدرزية ، وكان للمعنيين حلفاء منذ القرن الثاني المسيحي مقيمين بحاصبيا وراشيا وما يجاورهما في وادي التيم وهم الامراء الشهابيون ، وكانت الصلة بينهما

دينية سياسية ، وكان الدروز في هذه الجهات معززين مكرمين .
 وكان يتنازع اماره طرابلس آل سيفا وبنو شعيب وكتاهاتين
 العائلتين من الاكراد وما زالتا كذلك حتى تغلب آل سيفا او اخر القرن
 السادس عشر وفاز احدهم بامر الولاية على طرابلس مع لقب باشا
 وكان انتنوخيون في لبنان المتوسط منقسمين الى حزبين قيسي ويميني
 وتولى بنو الحرفوش شؤون المتابعة في البقاع

واحتل النصرية شمالي عكا وهي بلادهم الى اليوم .
 وكان الامر في شمالي لبنان لبني غساف اصحاب غزير وجبيل وكانوا
 من التركمان اقيموا على حراسة كسروان ولكنهم انقرضوا في اوخر
 القرن السادس عشر وتغلب عليهم بنو سيفا امراء طرابلس

نكبة على لبنان

ومما يذكر ان اللبنانيين ما يرحوا حتى اوخر القرن السادس عشر
 آمنين مطمئنين في حالتهم التي كانوا عليها مع انقسامهم الى حزبين قيسي
 ويميني وابتلائهم بخصومات واختلافات محلية الى ان فاجتتهم سنة ١٥٨٥
 نكبة كدورت صفو عيشهم وشوشت احوالهم وهي انه بينما كانت
 شردمة من الانكشارية سائرة قرب عكا باموال ضرائب مصر وسوريا
 الى الاسكندرية وثب عليها اللصوص وسلبوها فوجهت التهمة حينئذ على
 بعض امراء لبنان عموماً وعلى امراء الدروز خصوصاً فانتهزت الدولة الفرصة
 لاطهار بطشها في الجبل وتولى ابراهيم باشا عامل مصر تنفيذ هذه البطشة
 فاطلق اليدها بشدة وكان اذ ذاك حاكماً كبير الامراء الامير قرقاز ابن

الامير فخر الدين المعني الاول فلم يلبث في وجه ابراهيم باشا وتواري مختبئاً في قلعة شقيف طيرون وهناك مات غمماً اما الامراء التنوخيون فقد سار بهم قائد الحملة الى الاستانة حيث برئت ساحتهم واعيدوا مقررين على اماراتهم

اسئلة

- ١ - ما تعرف عن سياسة الترك العثمانية في سوريا في القرن السادس عشر ؟
- ٢ - كيف كانت احوال سوريا في هذا العهد ؟
- ٣ - فسر عدم اهتمام الترك بشؤون سوريا ؟
- ٥ - تكلم عن المناصب وكيف كان توسيدها الى الطلاب ؟

الفصل الحادي والعشرون

سوريا ولبنان في القرن السادس عشر والسابع عشر
١٦٠٠ - ١٧٠٠

الامير فخر الدين المعني ، هربه وعودته ، اعماله واصلاحاته
التجارة والزراعة في ايامه

لبنان والامير فخر الدين الثاني ١٥٨٤-١٦٣٥

لما بلغ فخر الدين الثاني^(١) المعني اشده القى اليه خاله مقابلد الامارة

(١) ولد فخر الدين الثاني سنة ١٥٧٢ ، ولما مات ابوه قرقاز كفله آل الحازن في كسروان ، فعرف لهم جميلهم بعد ما استرد امارته في الشوف ، واتخذ احد افراد اسرتهم ابا نادر الحازن وكيلا له

على الشوف و كان قد تدرب على فنون السياسة والوان الحياة فاخذ يعمل من سنة ١٥٩٨ - ١٦١١ على توسيع نطاق امارته فضم اليها قسماً من املاك يوسف باشا سيفاً حاكم طرابلس ؛ ثم استولى على اراضي امراء البقاع الحرفوشيين ، ورأت الدولة العثمانية توسعه فاجست شراً ولكن تركته وشأنه يقاتل بقية الامراء العتاة رغبة منها في اضعافهم جميعاً فبسط سيادته على كسروان والمدن الساحلية والاقاليم الممتدة الى صفد وعجلون وبانياس و كان لبيروت وصيدا النصيب الاوفر من اصلاحاته ولقد عني بامر الجندية كثيراً فرتب لنفسه جيشاً كبيراً عدده ثلاثون ألفاً ، وأنشأ على طول الحدود استحكامات وقلاع وأنشأ مثل ذلك في المدن الواقعة على الحدود (كبا نياس) (وشقيف) (وطبرون) وغيرها

هرب الامير فخر الدين

ولم تطل مدة تبسطه في السطوة والساطة حتى اتجه للعثمانيين عليه شبهات وريب فتغيرت النية عليه ، وكان ان تعين سنة ١٦٠٩ لولاية الشام حافظ باشا حاكماً وكان ذا حزم وعزم ، فتولى بنفسه قيادة العساكر الاناضولية لمحاربتة . فلما عرف الامير فخر الدين بذلك ورأى انصراف انصاره عنه ، ركب البحر الى ايطاليا سنة ١٦١٣ بعد ان عهد بالامارة الى ابنه علي ، ونزل في ايطاليا في قصر اصدقائه (المديشيش) اصحاب توسكانا بالاحتفال والاحتفاء . وعلم حافظ باشا بسفره على حين فجأة فأسقط في يده وتمكنت الاميرة نسب زوجة الامير فخر الدين من ارضاء الباشا بالمال كي يفض الطرف عن الامارة فلا يتقدم اليها باذى او شر

عودته

ولما عاد الامير فخر الدين من سفرته هذه سنة ١٦١٨ اخذ
 يحدد صولته ويحسن شوؤونه وكان قد تعرف على بعض مذاهب الحياة
 والعلوم في ايطاليا فعمل على تطبيقها في بناء الحصون والقلاع في لبنان؛
 وتمكن من قهر اعدائه امثال آل سيفا حكام طرابلس وهدم حصنهم
 في عكار . وفتح الامير فخر الدين الشواطي للتجارة ، ويمكن تجاراً
 افرنسيين في صيدا من بناء بعض الفنادق واخانات . بيد ان الدولة
 العثمانية كانت تنظر الى اعماله نظر الموجس المضطرب الحذر ، ثم ما لبثت
 ان ساءت عليه جيشاً عظيماً قهره في وادي التيم حيث قتل ابنه الامير علي
 ثم شقيقه الامير يونس متأثراً من جراحه ، فانهزم لاجئاً الى قلعة شقيف
 ثم الى احدى المغاور ، ثم سلم نفسه الى الوزير المنتصر فصار به مغلوباً
 على امره الى الاستانة حيث قتل سنة (١٦٣٥)

وخلفه على الامارة الامير ملحم ابن اخيه وسنة ١٦٥٧ خلف الامير
 ملحم ولداه احمد وقرقاز ثم بعد وفاة قرقاز استقل الامير احمد بالامارة ،
 واستمر لبنان في عهده يرتقي بتواصل علاقاته التجارية مع اوربا

التجارة والزراعة في ايامه

وقد نشط الامير فخر الدين الزراعة واكثر من غرس التوت ، وهو
 الذي ادخل الموارنة من المسيحيين الى لبنان الجنوبي كي يعملوا
 على حراثة الارض وزرعها باسم اصحابها من الدروز
 وكانوا يشحنون في ايامه من صيدا عدا حريز الشوف القطن والزيت

والأرض، وعادت إلى بيروت أيام عزها فكانت المراكب الأوروبية ترسو
آمنة مطمئنة فيها وفي غيرها من المدن الساحلية

...

استلمة

- ١ = ذكر ما تعرفه عن الأمير نجر الدين المعني الثاني؟
- ٢ = لماذا هرب من بلاده وكيف كان ذلك؟
- ٣ = ما هي أعماله وإصلاحاته؟
- ٤ - كيف كان حال التجارة والزراعة في عهده؟

الفصل الثاني والعشرون

سوريا في القرن الثامن عشر

١٨٠٠

الاحوال العامة ، الانكشارية ، حكومة لا مركزية
تركيا وعماها في سوريا

الاحوال العامة

ليس في تاريخ سوريا المتوسط ما يستوقف النظر فهو عبارة عن فتن
وحروب وسوء إدارة وفوضى ؛ كانت البلاد تسير من فساد إلى فساد

وشقاء الى شقاء، وكان الولاية يتعاقبون على القطر، والسعيد منهم من يحول عليه الحول، واكثرهم يقيمون فيها اشهراً ثم يصرون ويستبدل غيرهم بهم، ومنهم من كان يقيم اياماً فقط ولقد تعاقب على دمشق في قرن واحد واحد وثلاثون والياً وعلى حلب تسعة واربعون فكان الوالي لا يتمكن من الاصلاح وان اراده، وكان لا يتوفر على غير جمع المال بالطرق المتنوعة، يتخذ سبيلاً لارضاء اصحاب النفوذ في الاستانة، وكان الولاية يبتغون الولاية ابتغاءاً والزائد الاكبر هو الذي يمال مصلحه

الانكسارية

ومن اعظم العوامل في اشقاء سوريا ايضاً في العهد العثماني التركي خروج الجند التركي (الانكشارية) عن حدهم واعتدائهم على الناس، وبطشهم بالشعب، يستولون على امواله وعرضه ولا من رادع ولا وازع ذلك انهم كانوا في البلاد تقوم القاهرة التي لا تغلب

حكومة لامركزية

ولقد كانت سوريا في القرن الثامن عشر حكومة لامركزية اي حكومات امراء، وشايخ يقوم كل منهم بحكم منطقته، فاذا اختلف اثنان كانا يتناضيان عند الشيخ ويقبلان حكمه لا محالة، ومن خالف عادات البلاد او اخل بتقاليدهم يسجن في سجنهم وكان الشيخ او الامير يجبي الضرائب ويقدم المتوجب عليه للوالي ويأخذ الباقي لنفسه واذا حدث فتنة او خيف من وقوعها كان الوالي يطلب المعاونة من امراء منطقته فيخرجون بانفسهم ورجالهم وفرسانهم، وكثيراً ما

كان يستبد هؤلاء المشايخ بالفلاحين ابتغاء مرضاة الامراء والولاة وقد ادى هذا النظام الى انتشار الفوضى واختلال الامن وسبب للحكومة التركية خسراً كبيراً في الاموال والرجال وكان كثيراً ما يثور احد الامراء فتجهز الدولة جيشاً لمحاربته فاذا تمت لها الغلبة عليه اقتلعت اشجاره وخربت مزارعه ، وهذا غاية في التدمير وخراب البلاد

تركيا وعملها في سوريا

ولقد طلع القرن الثامن عشر على الدولة العثمانية وهي لا تفكر في غير مصائبها الخارجية ، والمملكة التي تمتد من اسوار فينا حتى جنوبي بلاد العرب لا وحدة فيها ولا جامعة تجمعها ، وليست متجانسة ولا متماثلة تكافحها الثورات الداخلية ، وتساورها اخروب الخارجية ، فلم تكن تعمل لدفع الاولى ولا لاتقاء شر الثانية ، وكان نصيب سوريا من هذه الفوضى الشر الاكبر ، فقد ندر ان كان يهبطها من الاستانة حاكم صالح في اخلاقه معروف باستقامته ، وكبر عقله وسعة معرفته ، يحسن الادارة ويكف المظالم ، فكان كل من يقصدها يقصدها لغاية هي جمع الاموال وانشاء ثروة كبرى تكفيه واولاده واحفاده . وكانت الضرائب لا تجبي بصورة منتظمة قطعاً فقد تجبي جباية سنتين او ثلاث في غير اوقاتها في آن واحد ، ولا تراعى في الجبايات اعوام القحوط والجذوب واذا ضاقت الحال باحد العقلاء فرفع صوته بالشكوى عدوه نائزاً وحر فوا دعوته وسفها امره ورأيه هذا ان لم يعملوا على القضاء عليه

سياسة الاستانة

وكانت حكومة الاستانة قلما تفكر في استئصال الشر ، وما بحثت قط عن اسبابه وقلما اهتمت للفتن المحلية الا اذا التهب شرارها وخيف منها على سلطانها ، ولماذا تهتم وهي تضرب القطر بشقيقه ، والامير برفيقه ، واذا اوجست شر آمن وال او صاحب نفوذ سلطت عليه جاره او خصمه ، فالناس في سوريا ابدأ متعادون متشاكسون وهو ما عمل على تمزيق الوحدة السورية في السياسة والدين والاجتماع

مظالم الولاية

بدأ هذا القرن وعبدون باشا والي صيدا يملأ البلاد ظلماً وجوراً ، وجعفر باشا والي دمشق ليس دونه في المظالم ، اما الامراء المتغلبة من ابناء البلاد فكان اكثرهم من احفاد الذين سبقوهم في عكار ولبنان ووادي التيم وبعلبك وحمص وحوران والكرك وسليمية ، وقد ثاروا الى دمشق في هذا القرن على واليهم لارتشائه وطردوه من الشام ورفعوا علم الثورة الا ان ذلك لم يطل طويلاً فقد اقتضت الدولة التركية من العاصمين فارهميت الباقيين .

الثورات الداخلية

وثار الحمويون ايضاً على متسلمهم او حاكمهم لتعديده وظلمه فاخرجوه من البلد قهراً ، فذهب الى المعرد وشكى اهل حمص الى الاستانة فجاء الامر بقتل زعيمهم وهكذا كان .

ولقد كانت البلاد في فوضى ما بعدها فوضى ، حتى صارت ارض

الشام تعج بالظلم وكثر استلاب الاموال ، وحدث في منتصف القرن الثامن عشر ان تارت فتنة في دمشق فظلت ثلاثة ايام مقفلة ، وقتلت فيها جماعات كثيرة وكان مثلها في حلب .

ظهور آل العظم

وعرف هذا القرن بظهور آل العظم حكاماً على الشام وقد اختلف الباحثون في اصلهم ، وتولى اولهم اسماعيل باشا العظم ولاية الشام في منتصف القرن وفي هذا القرن ايضا جزم ماليك مصر حملة على سوريا بقيادة محمد ابو الذهب فاستولى عليها حتى حلب وحاصره دمشق ولكن الشاميين رشوه فرجع عن فتحها الى مصر . ثم عاد بأمر السلطان لمحاربة الشيخ ظاهر العمر ^(١) وكان عاصياً في عكا فدمر كثيراً من البلاد ثم توفي وكانت البلاد قد صارت خراباً

اسئلة

- ١ - تكلم عن الاحوال العامة في سوريا اول هذا القرن ؟
- ٢ - اذكر ما تعرفه عن عمال تركيا في سوريا ؟
- ٣ - كيف كانت حكومة سوريا ؟
- ٤ - كيف كانت سياسة لاستنة في البلاد ؟
- ٥ - اذكر شيئاً عن مضامير ولاية ؟
- ٦ - ما تعرف من اشهرت لساخبة ؟
- ٧ - صف احوال العمومية في سوريا في القرن الثامن عشر ؟

(١) كان ظاهر العمر ١٧٥٠ - ١٧٧٥ رجلاً جريئاً جسوراً استولى على عكا وحكم بلاد المتأولة وعصى تركيا واخذ يناوش جنودها حتى تمكنت منه سنة ١٧٧٥ خلفه الجزار في عكا ، وكان الجزار اكبر عامل على اهلاكه

الفصل الثالث والعشرون

لبنان في القرن الثامن عشر

١٨٠٠

الشهابيون ، احمد باشا الجزائر ، نابليون يونايرت

الامير بشير الشهابي الاول ، الامير ملحم ، تنصر الشهابيين ، الجزائر وسياسته
اخلاقه ، اعماله في عكا ، نابليون في سوريا

لبنان في القرن الثامن عشر

نحن الان في اول انقرن الثامن عشر وكان الامير احمد بن معن قد
توفي قبل ثلاث سنوات (١٦٩٧) فانقرضت بموته الدولة المعنية اذ
لم يكن له عقب ، واجتمع المشايخ من المقاطعات السبع في لبنان وانتخبوا
مكانه الامير بشير بن شهاب من اصراء وادي التيم حاكماً على لبنان
فتولى الحكم واجبه الناس لانه كان عادلاً كريماً .

وكانت البلاد يومئذ حزبين : قيسي ومني وكان الاولون من انصار
الامير بشير وكانوا اكثر قوة واشد عصبية من اليمينيين فاضطر هؤلاء
إلى الرضى قسراً بامارة الامير بشير الاول

الامير ملحم

وتوفي الامير بشير سنة (١٧٠٦) فخلفه الامير حيدر الشهابي وكان

حازماً قوياً تغلب على الحزب اليمني وسحقه ، وذلك في معركة عين داره سنة (١٧١١) واخذ يتفرغ بعد هذا الانتصار لاصلاح شوئون لبنان وتحسين احوال اهله ، وترتيب ادارته فجعل جميع عماله من حزب القيسية وامتد نفوذه حتى بلاد بشارة وحاصبيا وراشيا والبقاع وبعليك

تنصر الشهابيين

وخلفه سنة ١٧٣٢ الامير حيدر ابنه وكان المال الذي يورديه كل سنة الى الدولة عن البقاع الغربي (٢٥٠٠) ليرة عثمانية وفي ايامه دان اولاده بالنصرانية واقتدى بهم بعض الامراء اللمعيين تاركين مذهبهم الدرزي ، وكان السبب في تنصرهم اكتساب موالاة الطائفة المارونية لانها كانت اكثر الطوائف اللبنانية عدداً وخطراً

وخلف الامير ملحقاً بعد مرضه واستقالته عمه الامير ان احمد ومنصور فاختلفا وانقسم الدروز والموارنة الى اقسام يشايع كل منها اميراً ثم اخلد الامير احمد الى السلام واستقل الامير منصور بالحكم ، ولكن على اثر انتصارات ابن اخيه الامير يوسف على الشيعيين اضطر الامراء الامير منصوراً الى الاستقالة فخلفه الامير يوسف سنة ١٧٧٠

احمد باشا الجزائر ١٧٧٥ - ١٨٠٤

ولكن الايام لم تمكن الامير يوسف من الراحة فقد بلاه الله بالرجل الهائل احمد باشا الجزائر من رجال الدولة المستبدين وكان يرمي الى تأسيس مملكة لنفسه تشابه مملكة الامير فخر الدين المعني ، وكان هذا

الرجل اردناوطياً اتصل بالامير يوسف حاكم لبنان فادخله في خدمته وفوض اليه قيادة بعض جنوده ، ثم عهد اليه بالمحافظة على مدينة بيروت اكبر مدن ولايته اللبنانية ، فسولت له نفسه ان يغدر باميره فطفق يحصن مركزه الجديد ، واراد الامير يوسف اخراجه فامتنع عليه ، واستجار بالشيخ (ظاهر العمر) حاكم عكا ، ثم اخذ يحتال على الشيخ ظاهر ويساعد الاستانة على قهره واذلاله وكان عاصياً حتى ارداه ، فحفظت له الدولة هذا الصنيع وعينته والياً لالة صيدا سنة (١٧٧٢)

الجزار في عكا

وعلق الامير يوسف لترقية الجزار ومجاورته له ، فسعى الى قتله بكمين نصبه له قرب الدامور فنجا الجزار منه اذ كان قد اخذ حذره ، وشرع يعمل على توسيع منطقة نفوذه فاستولى على املاك الامراء الشهابيين في البقاع سنة (١٧٧٦) واحذت سلطته تمتد يوماً فيوماً من سنة ١٧٨٢ حتى وفاته سنة ١٨٠٤ ، وتمكن من الحصول تكررأعلى ولاية دمشق وطرابلس ، وكان يدرأ عنه شكوك الدولة العثمانية في مقاصده باداء مبالغ جسيمة للمتنفذين في الاستانة ، ثم نقل مركز اعماله واقامته من صيدا الى عكا ، وصرف اهتمامه الى تحصينها واصلاحها ، حتى صيرها بما انشأ فيها من الاستحكامات قطعة قوية منيعة ، واعدها للتجارة الاوروبية باجراء التسهيلات اللازمة ، وعلى هذا المنوال سار الجزار في ادارة ايلته فكان كأنه ملك مستقل لا يدفع من الجزية الا ما شاء . وكيف شاء . ومتى شاء .

الجزار واخلاقه

وكان الجزار جائراً فاتكأ سفاكاً للدماء ذا حزم ودهاء وتدبير، نظم ما امكن من شئون الولاية ورتب ماليتها، وناولاً امراء الجبل بالدهاء والحيلة فقسّمهم بعضهم على بعض اتقاء اتحادهم عليه، وتشدّد في ضروب المساومة ثمناً للمناصب يبيعها ببيع السلع

فكان الامير الكبير يضطر الى قبول المقترحات والشروط الثقيلة تفادياً من غلبة مزاحميه ونظرائه، وهو مضطر بدوره لزيادة الضرائب لسد العجز وتقديم المال اللازم، حتى لم يبق في مندوحة الامير يوسف الاضطبار فتآمر واحد اعوان الجزار على الثورة ولكن الجزار هزمها في معركة قرب الياس سنة (١٧٨١) وانكفأ الامير يوسف منهزماً لا يقوى بعدها على البقاء في منصبه فاستقال للامير بشير ابن اخيه الذي كان في الثالثة والعشرين من عمره، وهذا وشى به بعد فترة من الزمن الى الجزار، فحبسه وهلك في السجن

نابليون بونابرت في سوريا ١٧٩٩

وبينما كانت الفتن الاهلية تشتعل في البلاد، والبلاد قد ضعفت فيها كل قوة، والدولة العثمانية كلما رأت عاملاً قوياً تكتمني بان تضع له في جواره عاملاً اخر ليظل في خلاف وخصام معه، وسوريا خالية من وسائل الدفاع هاجم الجنرال نابليون بونابرت الفرنسي سوريا سنة ١٧٩٩ بطريق العريش بعد ان فتح مصر ومعه ثلاثة عشر الف مقاتل ولما بلغ الجزار قدوم الجيش الفرنسي من مصر الى عكا اسرع

الى تدبير ما يحتاج اليه في الحصار، وارسل الى يافا جنداً وحصنها
بالمدافع واخرج المسيحيين من المدن الساحلية اكتفاء لشركهم
واستولى الفرنسيون على يافا وغزه بعد حصار يسير
وتقدموا الى حيفا فسلمت لهم، ثم ذهبوا الى عكا وفيها الجزار
فحصروها

خسارة الحملة

وكانت بين الفرنسيين وجند من دمشق معركة انهزم فيها الجند
الدمشقي وعاد الفرنسيون الى عكا يحاصرونها ويشددون عليها الحصار
وهي تقاوم ببسالة ونجدة، وكان الفرنسيون يهجمون على الاسوار
والقنابل تنهال عليهم كالطر، وقد تمكنوا فعلاً من هدم بعض اسوارها
ولكنهم لم يتمكنوا من دخولها، وقد فقدوا على سورها ثلاثة الاف
وخمسة جندى، ومات في الطاعون وعلى الطريق ما يزيد عن الف .
ولما رأى نابليون ذلك وما كان من اثاره انكلترا الشعوب والدول
عليه كر راجعاً الى مصر . وكانت مدة مقامه في سوريا شهرين

نابليون والامير بشير

وكان نابليون قد سأل الامير بشيراً الكبير أن ينضم اليه وان
يساعده في حصاره لعكا فاجابه على كتابه اولاً بالسكوت ثم بالوعد
بالمساعدة بعد فتح عكا، فحفظ الجزار للامير بشير هذا الوعد لنابليون
واقسم لينتقم منه بعد انصراف الفرنسيين عنه

ولقد تم انسحاب نابليون من سوريا بمشقات عظيمة ، ولم يمض شهر على رجوعه الى مصر حتى كسر الترك في (ابي قير) ثم ابحر بعدها الى فرنسا خلسة ، لان الاسطول الانكليزي كان يحرس البحر يومئذ وترك الجنرال كليبر وكيلا عنه في مصر ولم تترك حملة نابليون في سوريا اثرأ يذكر لسرعتها اذ انها لم تتجاوز الستين يوماً ، ولو تم لنابليون ما اراده من الاستيلاء على الشرق لكان للتاريخ الحاضر خبر جديد وحديث عجيب

اسئلة

- ١ - اذكر ما تعرفه عن قيام الامراء آل شهاب في اول القرن الثامن عشر ؟
- ٢ - تكلم عن الجزائر وسياسته واخلاقه ؟
- ٣ = ما تعرف عن علاقات الجزائر والامير يوسف ؟
- ٤ = كيف كان الجزائر في ايامه ؟
- ٥ - كيف تول نابليون الى سوريا ؟
- ٦ - ما تعرف عن حملة نابليون الى سوريا ؟
- ٧ - كيف تم انسحاب الحملة من سوريا ؟
- ٨ = ما هي نتائج الحملة في سوريا ؟



العرب والاسلام

فصول في التاريخ العربي والاسلام

الفصل الرابع والعشرون

العرب في الجاهلية

العرب والصحراء ، اخلاقهم ، عاداتهم ، حياتهم الاقتصادية ، الشعر والشعراء ، غموض التاريخ العربي القديم .

العرب والصحراء

ليس يقل الذين يتكلمون العربية في هذا العصر عن سبعين مليوناً يقيمون في دول متجاورة تمتد حول الشاطيء الجنوبي للبحر الابيض المتوسط وتحيط بالبحر الاحمر وتمتد داخل آسيا الى العراق وتتسلل بعده الى طوائف العجم وافغانستان وتركستان والهند يدين جلهم الاسلام . وقد خضعوا منذ اكثر من الف سنة لمصائر متشابهة فسرت بينهم مع وحدة اللغة والعقيدة والمظ وحدة في الفكرة وفي الحضارة جعلت منهم كتلة تتأثر بؤثرات متشابهة وتنظر الى المستقبل واكمل منها فيه ماساؤها من رجاء وامل .

هذه الوحدة في اللغة والعقيدة والمصائر يرجع تاريخها في هذه الامم

جميعاً إلى تاريخ دخول الإسلام إليها مع العرب الفاتحين . أما قبل ذلك فكان لكل أمة منها لغتها وعقيدها وكانت أمم إفريقيا تكاد تنفصل عن أمم آسيا خلا سوريا وفلسطين وما يتصل بهما ، فكانت في أكثر حقب التاريخ وشيجة الاتصال بمصر وإن استقلت بلغتها الآرامية عن الهيروغليفية وغير الهيروغليفية من اللغات التي استقرت على ضفاف النيل . ولقد لعبت هذه الدول التي اتحدت لغة وعقيدة ومصائر بعد الإسلام دوراً العالم من أكبر الأدوار في تاريخ لا يزال أثره بارزاً واثراً في العالم حضارة لا يزال أثرها ولن يزول .

الحياة العربية

كان لكل أمة من هذه الأمم قبل الإسلام لغتها وعقيدها ، وكان مصير بعضها يتعلق تارة بدولة كبيرة كدولة الفراعنة أو دولة الروم أو دولة الفرس ، ويتحكم تارة في مصائر هذا الغير من طريق الغزو أو من طريق الدين كما كان الأمر بعد ظهور اليهودية والمسيحية . أما العرب المقيمون في شبه الجزيرة والذين نشروا الإسلام في اقطار الأرض بعد ما نزل وحيه على رجل منهم فقد كانوا قبل الإسلام كما هم قبائل وعشائر تعيش في بلاد كانت ، كما لا تزال ، قاحلة لا يتجه نظر أحد للاستيلاء عليها من لم يكن من هذا الاستيلاء أية فائدة ، ولذلك لم يفتحها اليونان والرومان كما فتحوا سائر الممالك المجاورة لها . وكانت تعتمد في قوامها الاقتصادي على التجارة أكثر من اعتمادها على الثمرات القليلة الضئيلة التي وهبها القدر إياها . وكانت بلادهم بموقعها بين آسيا وإفريقيا يجديها واضطرار

اهلها للسعي في مناكب الارض وراء الرزق طريق التجارة بين الامم
 المحيطة ، بها وكان البر يومئذ وسيلة صالحة للنقل لان البحر كان لما يزل
 منته ولما ينحضر لحكم الانسان عسايه ، لكن العرب لم يكونوا لذلك
 تجاراً بل كانوا حماة للتجارة التي تمر بارضهم من غزو القبائل اياها وعدوانهم
 عليها كما كانوا اصحاب رواحل تنقل المتاجر من مصدرها الى مورها
 وهذه الحياة التي تقضي في الحماية من غزو المعتدي وفي نقل التجارة من
 بلد الى بلد تدفع الى النفس اسمى معاني البطولة والاقدام والاعتماد على
 النفس والاعتداد بالذات . لكنها كذلك حياة قاسية قليل ما تدره من
 الربح ، كثير ما تستغرقه من وقت من يعانيتها . وهي بعد حياة تجوال
 قل أن يستقر صاحبها الى ذويه ، وقل أن تسمح بقيام المدن وتكون
 الجماعات المتشابهة المصالح القائمة حياتها العامة على التضامن والتنافس
 جميعاً . وما تزال تلك هي الحال الاقتصادية في شبه جزيرة العرب الى
 يومنا الحاضر . فلمدن فيها قليلة ، والموجود منها قليل عدد سكانه . ولقد
 حرمت ما كان له من قبل من مزية مرور التجارة بها بعد ما اصبح البحر
 اكثر من البر آمناً ، لكنها استعاضت عن ذلك بموسم الحج يدر عليهما من
 فضل الله ما يقيم اهلها طول عامهم .

مثل هذه الحياة الاقتصادية التي تقضي على امر شبه الجزيرة بالعزلة
 والتجوال وتحتم عليهم مواصلة العمل لكسب الرزق ولا تيسر انشاء
 المدن الكبيرة ايس في طبيعتها ان تقرر حضارة ثابتة القواعد باقية الاثر .
 ذلك بان الحضارة ثمرة من ثمرات الاجتماع في الحضرة . وهي لا تتفق

وحياة البادية في كيانها على نحو ما هو ظاهر من لفظ الحضارة نفسه .
ثم ان الحضارة فيض من عمل الانسانية عن حاجاتها المادية والمعنوية
والادبية يزيد من هذه الحاجات ثم يحفز الانسانية في نفس الوقت الى
سعي جديد يكون من اثره فيض جديد . وهذا الفيض المتتابع هو
الذي نقل الانسانية من حياتها الاولى الى ما تنعم به اليوم من ترف
ورفاهية ، وهو الذي سينقلها في حدود النظام والتقدم الى ابعد مدى
ترقيته نحو الكمال .

غموض التاريخ العربي القديم

وهذا هو السبب في غموض تاريخ العرب قبل الاسلام غموضاً يكاد
يكون تاماً . فبينما يرجع تاريخ مصر لاكثر من ستة آلاف سنة فيصور
لنا حضارة عظيمة ثابتة الاركان والقواعد تمتد من ضفاف النيل عبر
البحر المتوسط الى اليونان وروما وتجتاز برزخ السويس الى فلسطين
وسوريا وما وراءها وتظهر فيها الحياة المادية والمعنوية والادبية واضحة
الحدود والثنائيا ، ثم هي ما تزال ترداد بالبحث والتنقيب ظهوراً ووضوحاً ،
وبينما يحدثنا التاريخ عن اليونان وروما ويدل فيهما على حضارة ترجع الى
نحو ثلاثة آلاف من السنين ، وبينما سائر الامم التي كانت معروفة في تلك
العصور النائية قد تأثرت بهذه الحضارات وأثرت فيها وكانت لها حضارات
خاصة - بينا يكشف لنا التاريخ عن هذا اذا به لا يروى عن شبه جزيرة
العرب قبل الاسلام بأكثر من مائتي سنة شيئاً معيناً . واذا رواياته عن
هذين المائتين من السنين لاتدل على اكثر من ان العرب كانوا اهل باس

ونجدة وحياة معنوية فياضة . اما الحضارة ومظاهرها من علوم وفنون ،
 أما هذا الفيض الذي يربو على حاجات الانسانية ثم يندمج فيها ليخلفه
 فيض جديد يندمج ليحيى ، بعده فيض غيره ، ثم ما يكون من ذلك
 من التقدم في سبيل الكمال فلا يحد ثنا تاريخ العرب قبل الاسلام عن شي .
 منه . بل لا يزال شبه الجزيرة في تاريخه من بعد الاسلام الى يومنا خلوأ
 من هذا لانه لا يزال كما كان خاضعاً لسلطان الحياة الاقتصادية التي لا
 تجود بما يقيم الركن المادي من أركان الحضارة .

اخلاق العرب وعاداتهم

على ان الناحيتين : المعنوية والادبية كانتا قويتين في النفس
 العربية قبل الاسلام ولا تزالان قويتين فيها الى حد عظيم . وهذه القوة
 المعنوية اثر من آثار قسوة الحياة الاقتصادية العربية ، او هي تعويض
 عن هذه القسوة تجود به الطبيعة وتقيمه في الكائن الحي فطرة للاحتفاظ
 بالحياة . فلو ان الحرمان المادي قابله حرمان معنوي لما استطاع هذا
 البدوي المقيم على شغف العيش ان يجد في نفسه من الهمة ما يتغلب به
 على شدائد الدهر ونوائب الزمن . بل لو ان نفسه كان فيها هذا الاستسلام
 الوادع المطمئن الى ما تجود به الطبيعة من عيش ناعم لقضى نجبه جوعاً
 وظماً . والقليل الذي بقي لنا من ادب العرب قبل الاسلام وفي صدره
 الاول ، يفيض بعاني هذه الهمة واثار تلك القوة التي كانت دائمة التحفز
 لمجالة الطبيعة ومغالبتها . وماذا تسمي هذا الازدراء للتكسب بالشعر
 الا انه سمو عن المسألة واحتقار لكل من تحدثه نفسه بان يعيش حالة

على غيره وان يكسب حياته من غير جده ونشاطه . ثم ماذا تسمى هذا الترفع من جانب الرؤساء عن قول الشعر الا ان هؤلاء الرؤساء كانوا يرون واجبه في الدفاع عن عشائهم والذود عن حياضها والحكم بين اهلها يقضى عليهم بالترفع عن القول الى العمل خصوصاً اذا اوجب هذا القول ما يوجب الشعر العربي من غزل لا يتفق ورياساتهم الرفيعة . على ان الشعر الذي ناله الرؤساء وغير الرؤساء كان يفيض حماساً ونجدة وينبئ عن رفعة في النفس تبعدها عن الدنيا وتدفعها الى اسنى الغايات

الشعر والشعراء

هذا الفقر في الناحية الاقتصادية والغنى في الناحية المعنوية ، وهذه العزلة الدائمة التجوال كل ذلك جعل من العربي رجلاً خيالياً لا يعرف من دقائق حياة الوجود الا قليلاً ثم هو مع هذا يرد كل ما في الوجود الى شخصه فيمتلي . بذلك زهواً وافتخاراً . وانت فيما ترجع اليه من اشعار العرب قبل الاسلام لا تجد الا حديث الشاعر عن نفسه . فحبه وغزواته وكرمه ومجده ونسبه وانت تجد ذلك كله مذكوراً بزهو اي زهو ، واعجاب اي اعجاب . فاما ما كان من مظاهر الحضارة في الشعر اما هذا الوصف لحياة الجماعات ونشاطها وغزوات الدول الاجنبية اياها وفخارها بالنصر وألمها للهزيمة مما تجده في الياذة هو ميروس ، واما هذه الفلسفة الدينية او الوثنية التي تعبر عن ايمان الجماعة وآمالها في الحياة وفيما بعد الحياة مما تجده في آثار المصريين واليونان والرومان ، هذه الفلسفة التي تعبر عن نظام الجماعة التي فرغت من سعيها لحياتها وجلست تفكر .

في امسها ويومها وفي الحياة والموت وما بعدهما . واما هذه القصص التي يتلها بها اهل المدن في مسارحهم حين قصفهم ولهوهم . اما غير هذا وما اليه من اثار الفكر والفن ومن ثمرات الحضارة فلا تكاد تحسه في الشعر العربي قبل الاسلام . وكيف تطالبه الى قوم حياتهم الاقتصادية ما رأيت ولهوهم هو هذا الغزل بالنساء والاشادة بالحب وذكره؟؟ والحب كما تعلم ليس الا حديث بقاء النوع ، كما ان الكفاح ليس الا حديث الاحتفاظ بالحياة تلك كانت حياة العرب قبل الاسلام . اعدتهم الطبيعة لحياة العزلة والجهاد فظلموا قبائل لحتها النسب وسعيها حماية الجار عربياً كان او غير عربي . وانت لن تجد في شعر الجاهلية معنى اسمى من هذه الحماية وبذل النفس في سبيلها واستعداد العشيرة على من يعتدي عليها . كما انك لن تجد عند الجاهليين من دوافع الطبيعة غير الغزل جاوز عندهم ما تدفع اليه فطرة استبقاء النوع وتحسينه الى ان صار فناً يفكر معه الاعرابي في محبوبته على انها أمل يتخيله وصورة يصل في وصفها الى ما لم يصل اليه سواه ، وذلك ان الشاعر العربي القديم كان يقاسي من ضرورات الحياة ما يقاسي ثم لا يجد من صور الترف والنعمة سوى المرأة . فكان لذلك يسغ عليها كل ما في عقله وقلبه وكل ما في بصره وبصيرته من الصور والمعاني .

العرب قبل الاسلام

اما ما سوى هذه المظاهر من صور الحياة فلم يذكر التاريخ عنها شيئاً واذا كان بعض المؤرخين قد وجد في بلاد اليمن وفي بعض سواحل

العرب شيئاً من اثار الحضارة فذلك لان تلك السواحل كانت في حياتها الاقتصادية احسن حظاً من داخلية البلاد المحاطة بالصحراء ، لكن حظها لم يكن من الوفرة بحيث ينيل ماوراءها من المتاع المادي الذي يقسم الحضارة في شبه الجزيرة او في قسم منها ذي قوام خاص ، لذلك بقيت حياتها البدوية اساس كيانها وبقي لها من هذه الحياة كل ما سبق وصفه من الآثار ^(١)

(١) ان اليمن خلافاً لأكثر البلاد العربية الباقية ارض قبلية لدرجة عالية من التمدن ولا ينبغي ان التمدن لا يتولد في قطر ولا ينمو فيه بعد تولده الا باجتماع عاملين احدهما موافقة احوال القطر الطبيعية لسعة العيش التي هي من شروط العمران ، والاخر خصال اهله الحميدة من الذكاء والنشاط والميل الى طلب المعالي ، ولا يقوم التمدن في بلد ، ولا يزدهر العمران في مكان الا بوجود هذين العاملين معاً ولكن قيمة هذا التمدن ودرجته لا تزال من الامور المعروضة على بساط البحث ، وليس هناك في ما كتبه اليونان والرومان والعرب عن اليمن واخبارها شيئاً يصح الاستناد عليه في الحكم الفاصل ، ولكن فيها ادلة كافية على وجود تمدن عظيم في اليمن القديم ونضرب على ذلك مثلاً ما رواه سنة ١٣١ قبل المسيح الجغرافي اليوناني اغثر خيدس عن النبي الفاخرة والنقوش الباهرة والتماثيل الجميلة والاوراق الذهبية الموجودة في تلك البلاد ، وما ذكره في القرن الاول للمسيح الكاتب الروماني بليتيوس الاكبر عن المدن اليمنية والحضرية مثل (رمنا) Ramna ذات الخمسة والستين هيكلًا لعبادة الهة البلاد ، وساباتا Sabata ذات الستين هيكلًا وماريابا Mariaba البالغ محيط سورها مسافة ستة اميال فثل هذه المدن والمباني لا يمكن ان تقوم الا في قطر عظيم التمدن كثير العمران .

اما ثروة قدماء اليمنيين فقد رواها العرب وايدها مؤرخوهم غير مرة وجاء في كتاب الاكليل للهمداني ان الناس يغزون القصور الخربة بين الجوف ومأرب لاستخراج ذهبها والاستيلاء على كنوزها ، وقال مثل ذلك في كتاب صفة جزيرة العرب صفحة (٢٩)

ولما جاء الاسلام كانت شبه الجزيرة على حالها القديم منقسمة شيعاً وقبائل كل منها ذات كيان مستقل بحاله من نسب وتقاليد ولهجة عربية تختلف قليلاً او كثيراً عن لهجة قريش ، لكنها كانت جميعاً ذات حياة معنوية وادبية ممتازة في القوة ، وكانت هذه الحياة المعنوية غير متفقة مع ما كان سائداً بينها من عقائد اورثها اياها سلفها وجنى عليها ما كان يرد اليها مع ابنائها حماة التجارة من عقائد القبائل والشعوب المجاورة . لذلك وجدت كلمة الاسلام في بساطتها وقوتها وحقيقتها صرعى خصباً في نفوس ترجو ان تطمئن ، فلما اجتمعت كلمة العرب في شبه الجزيرة حول الاسلام وتناصرت قبائلهم المتقاتلة واصبحوا امة جمعت كل قوى العربي المعنوية اتجهوا الى الفتح ليقيموا الدين وينشئوا ذلك الملك العربي العظيم ^(١)

في قصر خرب في شرق بلدة وضاحه انه « لا يزال يوجد فيه الجواهر والذهب والناس يغزونه كما يغزون خربات الجوف »

(١) اقتطفنا هذا الفصل بتصرف قليل عن مقال للدكتور هيكل بك ، اما التعليق

عن تاريخ اليمن فهو للمؤلف .

الفصل الخامس والعشرون

عصر الخلفاء الراشدين

الفتح العربي اسبابه وتأثيره ، العرب والروم ، ابو بكر وعمر بن الخطاب
الفتنة في الاسلام

الفتح العربي اسبابه وتأثيره

توفي النبي عليه السلام وقد ترك الامه العربية لخلفائه حزباً واحداً
وعصبية واحدة بيد ان هذا الاتحاد كان له نزواته وسقطاته ومثل ذلك
فتنة الردة يوم قام بعض الاعراب بعد وفاة النبي ويوم بلغهم خبر وفاته

اشرنا في الفصول المتقدمة الى هذا العصر فاجمنا وصفه ورجله واتينا على ذكر بعض
فتوحاته ، واقتضينا ما يمكن من التبسط في كتاب صغير ، وفصول محدودة ، ذلك ان
مثل هذا العصر يحتاج الى درس طويل ، وبحث جديد يتناول كل فروع السياسة والوان
الحياة ، وقد نعود الى ذلك في كتاب قادم .

وقد رأينا ان لاندرس سيرة النبي العربي عليه السلام في هذا الكتاب لان المجال
واسع والمقام جليل . ولا بد لدرسها من بحث وجهود ، ورأينا فوق ذلك ان تدرس
سيرة النبي عليه السلام في كتاب خاص ، ككتاب الاستاذ الغلاييني والحياط وهي بين
أيدي التلامذة في كثير من المدارس الوطنية .

يأبون دفع الزكاة ، وكان ابو بكر قد ولي الخلافة وبايعه المسلمون فمقد
الاولوية لقواد من الصحابة فساروا وكان النصر حليفهم فدان العرب
الشارثون للنظام ورجعوا عن فتنة لو توسعت لقضت على الامبراطورية
العربية والدين الاسلامي

ولا جرم ان عصر الخلفاء الراشدين من اجمل عصور الاسلام
واشدها وقعاً في النفس فقد كانت فيه الدولة العربية في فتوتها والدين في
شبابه فكنت ترى فيه مظاهر من التضحية ، والواناً من الاخلاص لن
تراها في عصر من العصور ذلك ان القوم في ذلك العهد كانوا زاهدين
في ما سوى اعلاء شأن الدين ورفع مستوى الامة .

ابو بكر الصديق

لقد كان ابو بكر اول الخلفاء الراشدين رأس الصحابة وشيخ
المسلمين ، وكان رجل حزم واخلاص وبعد نظر سار في المسلمين سياسة
وسطاً فاعطى كل ذي حق حقه ، وعمل على نزع الضغائن فولى بعضاً
من آل سفيان - وقد ذهب الاسلام بعزهم في الجاهلية - قيادة
بعض الجيوش وعقد البعث لغيرهم من الامراء فكان العرب في
خلافته يضربون على حدود امبراطوريتين من اعظم امبراطوريات التاريخ
القديم ، في العراق على حدود فارس ، وفي الشام على حدود العراق ،
وكان قد كتب الى اهل مكة والطائف واليمن وجميع العرب ونجد
والحجاز يستفزهم للجهاد في الشام ويرغبهم فيه وفي غنائم الروم فسارع
الناس اليه بين مجتسب وطامع فمقد ثلاثة الوية لثلاثة رجال هم يزيد

ابن ابي سفيان، وشرجيل بن حسنه وعمرو بن العاص وقد اتينا على وصف ذلك في القسم الاول من هذا الكتاب وذكرنا كيف تقدم هؤلاء القواد الثلاثة الى حدود الروم يفتحون مدنها ويؤمنون اهلها .

واليك وصية ابي بكر ليزيد بن ابي سفيان « لا تغدر ، ولا تمثل ، ولا تقتل ، هرمأً ولا امرأة ولا وليداً ولا تعقرن شاة ولا بعيراً الا ما اكلم ولا تحرقن نخلاً ولا تحزن عامراً ولا تغل ولا تجني »

بيد ان جيوش الروم كانت كثيرة العدد فضاق المسلمون ذرعاً فكتب ابو بكر لخالد ابن الوليد وهو في العراق ان ينزل للشام فلما وصلها كان المسلمون يحاصرون بصري فافتتحها على ان يؤدوا عن كل حالم ديناراً وجريب حنطة

العرب والروم

ولقد قاتل الروم العرب عن الشام قتالاً شديداً ، وكان العرب منقسمين على بعضهم بعضاً كل قائد لوحده وبمفرده فوحد خالد بن الوليد جمعهم وضمهم بعضهم الى بعض ونازل الروم في معركة اليرموك وهي اعظم معارك سوريا خطراً واجلها شأنًا ، ودارت الدائرة فيها على الروم فقتل منهم الوف ، وحقت الغلبة للعرب فدانت لهم سوريا بعد الواقعة واخذوا بوضع النظام والامان لمن قدم الطاعة وقبل بالحكم الجديد .

وفتح عمرو بن العاص غزه ونبلس ورفح ويافا وغيرها من اعمال فلسطين وحاصر القدس حتى رضيت بالتسليم على يد عمر بن الخطاب نفسه وكان قد تولى الخلافة بعد وفاة ابو بكر فدانت بذلك سوريا

وفلسطين للعرب وامتد الحكم العربي منها الى انطاكية من اعمال الاناضول

ولقد يعجب القاري: وهو يتتبع هذه الحروب والفتوحات ان يتمكن العرب وهم اقل من اعدائهم عدداً وعدداً، وقد قطعوا صحارى الحجاز والشام على جمالهم وخيولهم، وساروا في فلات لا ماء فيها ولا مراعي لانعامهم، وكل ما لديهم من الماديات قليل ضئيل، من الغلبة على الروم على كثرة جيوشهم ووفرة اسبابهم من المؤن والذخائر في ارض عامرة هي وما وراءها الى ارض الروم والنجدات تأتيهم على ايسر سبيل، ومع هذا فقد كثرت هزائهم وعدقتالهم بالالوف وقتل العرب بالملات، أليس في ذلك دليلاً على القوة المعنوية الفياضة التي كانت في نفوس اولئك الغزاة من البدو، الشريف النفس، السامي الخلق.

وليس من شك في ان لتأليف جيش الروم من الجنود المستأجرة دخلاً في الهزيمة اضع الى ذلك ما كان فيه من الارمن والدخلاء، وقد ساعد العرب المنتصرة العرب المسلمين في هذه الحروب، فكانت النعرة الجنسية اقوى من النعرة الدينية ولا جرم ان هذه النعرة العربية كانت عمومية يومئذ لا تفرق فيها بين عربي مسلم وعربي مسيحي، الا ان الاول حمل لوائها فتبعه الثاني بعد تردد قليل.

واغرب من كل ذلك ان يضيف العرب الفاتحون الى انتصاراتهم العظيمة، شرف الخلق، وعظمة العواطف، وحلم القوي، فقد حفظوا النظام في البلاد المفتوحة وعملوا على استتباب الامن فيها، وأمنوا

المغلوبين على اموالهم ونفوسهم وعيالهم واملا كههم وفي ذلك مظهر من
اجل واسمى مظاهر النفس العربية .

ابو بكر وعمر بن الخطاب

توفي ابو بكر الصديق رضي الله عنه وليس في بيت المال الا دينار
واحد سقط من غرارة ، واوصى قبل وفاته ان تباع ارض له وان يدفع
ثمها الى بيت مال المسلمين بدلاً من الدريهمات القليلة التي تناولها منه
وهو خليفة المسلمين وامير العرب وكان شأن خليفته عمر بن الخطاب -
الخليفة الكبير الاعظم = مثله في الزهد والورع وفي الشدة والمحاسبة على
العمال والامراء ، حتى لقد استكثر خمسمائة الف درهم حملت اليه من
البحرين فقال حاملها « اتدري ما تقول ؟ » قال « نعم مئة الف خمس مرات »
فصعد عمر المنبر وقال « ايها الناس قد جاءنا مال كثير فان شئتم كلنا لكم
كياً وان شئتم عددنا لكم عدأ » .

فاذا عرفت ذلك فاذا كر توسع العمال بعد هذا العهد واستكثر ادهم
من المال والاثياب واعلم ان غلة عامل من عمال بني امية هو خالد القسري
امير العراق بلغت ثلاثة عشر مليوناً من الدراهم ، وانه اهدى فيما يقول
الرواة الى خليفته على الكوفة في ختان ابنته الف وصيف ووصيفة عدا
الاموال والاثياب وفكر في ما ينتجه كثرة المال ، من تطور في معيشة
القوم وفي نظرهم الى الحياة ، وما يستتبع ذلك من تطور الاخلاق والحياة
الاجتماعية .

الفتنة في الاسلام

توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتنفس المسلمون الصعداء ، ذلك انه كان رجلاً شديداً ضيق على قريش انفسها فلم ينل احد معه من الدنيا شيئاً اعظاماً له واجلالاً وتأسيّاً به واقتداءً فلما وليهم عثمان بن عفان وكان رجل لين انصرفوا الى الدنيا يجمعون خيراتها ، وانصرفوا الى السياسة يتحدثون بها ، وانصرفوا الى الفتنة يستعدون لها .

ولقد كان الناس في خلافة عثمان بن عفان احد ثلاثة محافظ وهم الزهاد والمتقشفون ومتطرف وهم النفعيون واصحاب المطامع . ومعتدل وهم الذين كانوا بين بين ، فالاول نقم على عثمان ان يترك سياسة الشدة الى اللين ، والثاني غضب عليه ان يولي بني امية كبار المناصب ، وان يفيض عنهم وعن سياستهم احياناً والثالث اعتزل الجماعتين وترك لهم الحبل على الغارب فكان حتماً والحالة هذه ان تنشب الفتنة بين المحافظ والمتطرف وان يكون وقودها المسلمين انفسهم .

ولعل اكثر ما تجزع له النفس ويدمى له الفؤاد انصراف المسلمين في هذا العهد والذي يليه عن محاربة العدو الى مقاتلة بعضهم بعضاً ، وليس يدرك فضل الخليفتين ابي بكر وعمر على الدولة الاسلامية الا من درس التاريخ الاسلامي وعرف ما كان يهدد الاسلام من الانحلال لولا قضاء الخلفاء على دولتي فارس والروم ، فلو حدثت هذه الفتنة ، وفارس والروم اقوياء على حدود الاسلام والعربية لزحفت جيوشهما على العربية حتماً ولكان للتاريخ حديث جديد . وللجزيرة العربية غير هذا التاريخ المجيد .

الفصل السادس والعشرون

الدولة الاموية العربية

الجامعة العربية ، هاشم وامية ، معاوية بن ابي سفيان ، الخجاج بن يوسف ، سياسة بني امية ، شهر بن هاشم ، بني امية ، معاوية وعبد الملك ، وهشام ، انهيار للدولة الاموية ، اسباب السقوط

الجامعة العربية

كان العرب قبل الاسلام يتفاضلون بالعصبية ويتفاخرون بالانساب فلما جاء الاسلام كان من جملة ما بدله من احوالهم انه جمع كلمتهم واصبحوا ايداً واحدة على اختلاف انسابهم ومواطنهم ، وكانت الجامعة اسلامية ايام الخلفاء الراشدين ولكنهم كانوا يجعلون للعرب ميزة على من سواهم من الامم لانهم قوام الاسلام . وقد حرص عمر بن الخطاب العرب على فتح الشام والعراق توسيعاً للجامعة العربية وللاستعانة بها على الفرس والروم وكانت سياسته في اوائل دولته تقضي ببقاء العرب محصورين في جزيرة العرب وما يليها من الشام والعراق ، ولم يكن في عصر الخلفاء الراشدين سياسة بل كان هناك دولة دينية وخلافة اسلامية اساس احكامها التقوى والرفق والعدل ، بيد ان هذه السياسة لم تكن

مما يلائم العمران ودروح الجماعات فكان لا بد لها من الوقوف عند حد ان عاجلاً وان آجلاً وكان ذلك الحد قيام دولة عربية جديدة وهي دولة الامويين في مشارف الشام

هاشم وامية

ولقد كان بنو امية كما قدمنا يتحينون الفرص وينظرون الى ما ناله بنو هاشم من جأه وساطان نظر الحاسد الفاضب فلما وني الخلافة عثمان بن عفان وهو من امية ، وكان ضعيفاً في ادارته ايناً في سياسته تئلب بنو امية علي ارادته وتولوا الاعمال في عهده واستأثروا بالاموال. فكان ذلك من الاسباب التي حملت العرب على النقمة عليه وقتله ، ورأي رأس الامويين معاوية بن ابي سفيان في مقتله ذريعة للوصول الى السلطة فسمى نحوها وتم له ما اراده فبايعه الحسن بن علي بعد مقتل والده ودانت الاقطار العربية الاسلامية لسلطان معاوية وساطان الامويين .^(١)

(١) ظهر بنو امية على العرب وتغلبوا على الخلافة ، واخذ آل علي بن ابي طالب يطالبون بها ويسعون في ادراكها ، واول من طلبها بعد علي ابنه الحسن ثم تدرج عنها معاوية سنة ٤١ هجرية فغضب اشياخ السابريين في المدينة والعراق والكوفة ، وكان امير الكوفة يومئذ زياد بن ابية وهو من دهاة العرب فشد في اخماء الثورة وقتل جمعة من المحرضين . وترتب السابريون الان ينتفرون موت معاوية لعل انتخاب الامة يقع على واحد من ابنا علي فترجع الخلافة الى اهل البيت ، ولم يخطر لهم ان يب يع معاوية لابنه ، فلما علموا ببيعه تقموا عليه وزادهم نقمة ما علموه من تهتك ابنه وقصفه واشتغاله باصيد عن امور الخلافة ، وكان اوجه الامويين يومئذ الحسين بن علي فلما مات معاوية سنة ٦٠ هـ وتولى ابنه يزيد ، ابي الحسين ان يبايعه وفر الى مكة واكثر شيعته في الكوفة فكتبوا اليه

معاوية بن ابي سفيان

وكان معاوية من دهاة العرب واسع الصدر، عظيم الدهاء، وافر العقل، فكان يفض عن مطاعن اعدائه عليه رغبة منه في اصطناعهم واجتذابهم الي سياسته وقد يتألفهم بالعطاء يستهوي بذلك قلب عدوه وله في ذلك نواذر كثيرة منها ان عقيلاً اخا علي بن ابي طالب وفد على معاوية وعلي لا يزال حياً فرحب به معاوية وسر بزيارته فقال له معاوية «كيف تركت علياً» فقال «تركته على ما يحب الله ورسوله والفتيتك على ما يكره الله ورسوله» فقال معاوية «لولا انك زائر منتجع جناينا لرددت عليك جواباً تألم منه»، ثم احب معاوية ان يقطع الحديث مخافة ان يأتي بشئ يسوئه فترك مجلسه بعد ان امر له بمال عظيم.

وحرضوه على ان يقدموا لينصروه فطاعهم وما اقترب من الكوفة قسداً عن نصرته، وبعث امير الكوفة عبيد الله بن زياد جنداً لمحاربتهم فدفع عن نفسه واهله حتى قتل قتله المشهورة يوم عاشوراء من سنة ٦١ هجرية في كربلاء. ثم ندب انصاره وشيعته على قومودهم عن نصرته فخرجوا بعد وفاة يزيد وببيعة مرزبان بن الحكم سنة ٦٤ يظالمون بدمه وسموا انفسهم التوابين وامير الكوفة لا يزال عبيد الله بن زياد فاجروه منها وولوا عليهم رجلاً منهم فتغلب بن زياد عليه، وظهر الآن المختار بن عبيد وكان على الهمة فجاء الكوفة يطالب بدم الحسين ويدعو الى بيعة محمد بن الحنفية اخي الحسن من ابيه فتبعة على ذلك جماعة من الشيعة ساهم (شرطة الله) وزحف بهم على ابن زياد فهزمه وقتله ثم اخذ يطارد قتلة الحسين وحبسهم بعد خروجه حتى افنى اكثرهم.

ولكن محمد بن الحنفية ابي ان يتنزل الى هذا المعتك السياسي فنبذ من المختار محول لمختار دعوته الى عبيد الله بن زياد وكان هذا يظلم بالخلافة وقد تحصن في مكة ولكن ابن زياد لم يستسلم له ولم يشق به عودته ورسول اخاه مصعباً الى الكوفة سنة ٦٧

وقد تمكن معاوية بالدهاء وحسن السياسة من الوصول الى الخلافة وجعلها ملكاً عضوضاً يتوارثه ابناءؤه من بعده ، ولكنه لم يستطع قطع شأفة المقاومين من طلاب الخلافة وهم كثيرون اهمهم اولاد علي ، على انه كان يسكتهم بالمسالمة والبذل فكانوا يسكنون الى سياسته رجاء . انتقال الخلافة اليهم بعد موته ، فلما نقلها الى يزيد ثاروا جميعاً فاجتمع اربعة ألوية في عرفات سنة ٦٨ هجرية كل منها لزعيم يدعي الخلافة ، الواحد بني امية ، والاخر للعلويين باسم محمد بن الحنفية والثالث لعبد الله بن الزبير والرابع لنجدة الحروري من الخوارج .^(١) ولقد عمت الثورات العالم العربي الاسلامي بعد وفاة معاوية فثارت المدينة ، وثارت مكة ، وثار الحسين ،

فجاريه واهلك شيعته .

ولقد انقسمت الشيعة العلوية بعد مقتل الحسين الى فرقتين احدهما تقول ان الحق بالخلافة لولد علي من فاطمة بنت النبي ، والاخرى تقول بتجولها بعد الحسن والحسين الى اخيه محمد بن الحنفية وهي الفرقة الكيسانية ، والاولى اكثر ظهوراً ، واوفر رجالا وقد بايعوا بعد وفاة الحسين ابنه علي المعروف بزين العابدين وتسلسلت الخلافة بعده في انقابيه حتى صار لائمة ١٢ اماماً .

وكان بنو امية كما قلنا ذاك سمعوا بظهور احد دعاء العارضة بذلوا جهدهم في اهلاكه فارقى العلويون في ايامهم خضكاً شديداً .

(١) يقع القرم على اسم الخوارج بين حين واخر في تاريخ الاسلام منذ خلافة الامام علي حتى انحصار الدولة الاموية ، فنهم الخوارج ، وما شأنهم وبشئهم في الاسلام ؟ ما ولي الخلافة الامام علي واعتصم معاوية منه باهل الشام ، ولم يتقدم الى مبايعته اسوة بالمسلمين جند علي عليه الجند ، وتقدم معاوية بدوره مع رجاء من اهل الشام فذل في صين وكنا ينهزم معاوية فتدركه عمرو بن لويس بجيسته الممثلة وهي ان يرفع

ونار ابن الزبير وتيممه العراق فم يرقى خلفاء معاوية من سلطان الا في
القطر السوري ومصر .

فلما تولى عبد الملك بن مروان الخلافة كان العالم الاسلامي في حالة
خطيرة من الفوضى والاضطراب

الحجاج بن يوسف

وكان عبد الملك داهية لازماً عجم ربهاء ، فوجه الحجاج اصلهم
عوداً فارساه الى العراق ، وهو مهد الثورة ومركز السياسة
ضد الامويين ، واصلق يده في الحكم بعد ان هزم مصعب ابن الزبير في
معركة فاصلة ، وكان الحجاج من رجال العرب وشدهم فسطا على العراق
بكل ما اوتي من قوة ودهاء وحسن في الحكمه فارهب الناس فكان

الجند المصاحف على اطراف لروح وان يستولوا على الحكم اليه . وبقدرة قوة الشاميين
السياسية كان ضعف الرقيق . فذهبهم الي ربهاء لهم نهب ، شرفهم فم يستبينوا
نصحه وجازت عليهم الخيلة واراضوا خيلهم بقبول التميمي وتنويض بني موسى الاشعري
قوضيه ورضي ابا موسى مرثا . هذا ظهرت جملة فؤدة نقضت . ابرمته بملاس
وانكرت على علي قبول التمسكيم . وظل ناس من عيه وحربوه وحاربوا المالك من
بعده . وتاوروا بلون دينية متنافاة . فلولاهم منورج في الاسلام . واما من بقي
مع علي فهم شيعة .

كيف در خورجيه و درو ؟ - كان نوح بن مضرية وبنية وخلفاء بين امير
العراق واهل الشام . وكانت نفوس موغرة الصدر من قرش وقد زادت عدد ويغار
بعد عثمان . ولما ولي علي الخلافة قت في عضدها خروج طائفة والزبير وعائشة ومعاوية
عليه . واذا نظرنا الى اهل العراق الذين هم نصراء علي رأينا فيهم صفات لاتدعو الى الممانعة
بهم . فقد كان في البصرة رجال نالوا عاليا في صفوف عائشة . وبالكوفة رجال لا يزال

يعاقب على الشك ويقتل على البادرة الصغير فدان العراقيون رهبة وخوفاً لسلطان بني امية ، ولما استوثق الحجاج من العراق سار نحو مكة فاتحاً ونصب عليها المنجنيق واطلق ناره على استار الكعبة فحرقها ولما افتتحها عنوة قتل عبدالله ابن الزبير واحتز رأسه ، والكعبة حرم لا يجوز القتال فيه مما لم يحدث مثله في الاسلام ، ذلك ان سلطان بني امية لم يكن يقوم في ذلك العهد الا على الشدة والقسوة ، فقد ثارت العرب عليهم من كل جانب وليس يدفع مثل هذا التيار الجارف الا السيف والنار .

سياسة بني امية

وقد كان الحجاج أشد عمال بني امية وطأة ، واكثرهم بطشاً ، وقد

لحقه يغلي في صدورهم على عثمان وقد قتلوه حقاً على قريش واستبداد ولايتها ، ثم ذلك النفور بين البصرة والكوفة ، ثم هؤلاء الاعراب الجافي الطباع الذين ملؤوا اصقاع العراق ، ثم قرب العراق للفرس وسابق حكمهم له مما جعله اول اقليم تعمل فيه دسائسهم - كل هذه الامور تثبت لروح المعنوية والسياسية التي تربط العراقيين وتثبت ان الثورة كانت واقعة حتمية . اما وقد تار الخوارج فتورثهم راجعة الى ما اشربوه من شك وما اعتادوه من تردد وما حجب اليهم من نزاع . تاروا ولكن لمن ثورتهم ؟ اعلي وقد جفوه ؟ ام معاوية وهو عدوهم الاول ؟ جفوا كلا الفريقين وما الفريقان الا ولاية الامر من قرش فهم تاثرون على قريش وساخطون على الخلافة من اجل قريش لانها لم تحسن في استبارهم التصرف بها بل دب النزاع على الخلافة بين افرادها وتراحموا التراحم كله على قتلها ، اذاً كانت ثورة الخوارج على جهتين : قريش والخلافة . وكان لذلك نتيجةان : ففتنهم قريش جعلهم ينددون بان الخلافة مصلحة عامة يليها اي امري . صالح لها ولو كان عبداً حبشياً . ومقتنهم للخلافة جعلهم ينفرون منها النفور كله ويرون في وجودها ضرراً وشرّاً

اعانته شدة عبد الملك بن مروان على المبالغة في الشدة فانكر ذلك المسلمون ونقموا على الدولة وكثر الخارجون عليها ، واخذ غيرهم بالتآمر سراً لا جهراً ، ذلك كان حال دعاة العلويين ودعاة العباسيين ، ولما كانت سياسة بني امية عربية فقد نقم عليها الموالي وكان الخلفاء يستخذمونهم في الحروب مشاة ولا يعطونهم عطاء ولا شيئاً من الغنائم ، والمولى رقيق اعتق ولما كانت الفتوحات العربية تحمل الى بلاط الخلفاء كثيراً من هؤلاء فقد كانوا يفرقونهم على بطانتهم وانسابهم وهؤلاء يستخذمونهم في مصالحهم الصناعية والزراعية والدينية والعلمية ، واشتغلوا هم بالرئاسة والسياسة ولذلك كان اكثر القراء والمغنين والكتاب والحجاب وعامة الناس من الموالي ، ولقد انجب الموالي وتوالدوا وكثر عددهم وكانوا ينفرون من بني امية لتعصبهم فاصبحوا عوناً لكل من خلع الطاعة او طلب الخلافة من العلويين والخوارج ، وكل من قام لمحاربة الامويين استعان عليهم بالموالي والعبيد وهم الفئة المظلومة ، واشهر من استخدمهم المختار بن عبيد الذي قام في العراق للمطالبة بدم الحسين سنة ٦٦ هجرية ثم طلب الخلافة لمحمد بن الحنفية فقد اطمع موالي العراق بالغنيمة واركبهم على الدواب وكانوا ناقلين على اسيادهم نساء معاملتهم فجاؤوه متطوعين ، فكان عدد الموالي في جند المختار اضعاف عدد الاحرار وقد ابلوا في الحرب معه احسن البلاء نقمة منهم على اسيادهم ، ورغبة منهم في التحرر من العبودية ، وطعماً بما قدمه لهم المختار من وعد ، وبما اطمعهم به من جزاء .

ولقد كان الاسلام يرفع منزلة المولى واما الامويون فذهبوا الى

تحقيقه لانه غير عربي وشاع ذلك في ايامهم واصبح الناس يعيرون بمصاهرة الموالي. والخلاصة ان تعصب بني امية للعرب جرهم الى تحقير غير العرب وخصوصاً الموالي فنقم هؤلاء عليهم وكانوا من اكبر المساعدين في اخراج الدولة من ايديهم .

كانت دولة بني امية دولة عربية اساس سياستها طلب السلطة والتغلب على مزاحمتها فاستعان جميعاً على ذلك بالخصمية القرشية واصطناع الاحزاب فجرتهم هذه العنيفة الى انقسام العرب كما ذكرنا في الجاهلية فكان هناك حرب عوان بين القيسية والمضرية ، والقيسية انصار الامويين والمضرية انصار العاديين ، ولغوا في التعصب للعرب وامتهان غير العرب من الموالي واعوزهم اصطناع الاحزاب الى الاستكثار من الاموال لانفاقها في اجتذاب الرجال ، والاستكثار منها بعثهم على الشدة في تحصيلها فكان ذلك من الاسباب التي عسست على تمزق سلطانهم .

اشهر خلفاء بني امية

والفضل في ثبات دولتهم لثلاثة من خلفائهم اشتهروا بالدهاء والسياسة والتدبير حكم كل منهم نحواً من عشرين سنة وهم معاوية ابن ابي سفيان (٤١ - ٦٠ هـ) وعبد الملك مروان (٦٥ - ٨٦) وهشام ابن عبد الملك (١٠٥ - ١٢٥)

واما عمر بن عبد العزيز فقد كان اصدقهم ديباً واكثرهم صلاحاً ولولا هؤلاء الثلاثة لذهب ملك بني امية في اقل من مائة سنة . فقد تداول على كرسي الخلافة كثير من الضعفاء وارباب الترف وليست

تقوم الممالك بمثل هؤلاء بل هي لفي عوز الى رجال صلاب العود
وافري العقل كثيرى الدهاء

معاوية بن ابي سفيان

ولم يكن معاوية رجل سياسة ودهاء وحلم فحسب وانما كان
فاتحاً ايضاً فاما يجب ان يذكر له انه مع اشتغال ذهنه بالملك وتثبيت
الملك لم يغفل قط عن انشاء اسطول عظيم غزا به الروم وانقسطنية
غير مرة وافتتح ارواد وقبرص ورودى وغيرها من الجزائر وجعل
محطات عسكرية لاسطوله وقسم من جنده

ولقد تعددت وقائعه مع الروم وكان في اكثرها ظافرا ومن اهم
ما حدث في اواخر ايامه ان الروم ركبوا السفن للسنة السابعة من
خلافته واتوا ساحل صور وصيدا - فاستولوا على جبل لبنان
وانشروا من جبل الجليل الى جبل الاسود وكان الناس يسمونهم
الجراجمة ويسمى بعضهم المردة ارسلهم قسطنطين ملك الروم ليشغلوا
العرب عن الغزو ، وقد ظن هؤلاء في البلاد حتى اخرجهم منها
عبد الملك بن مروان

وفي سنة ~~٦٠~~ هجرية سير معاوية جيشاً كثيفاً مع سفيان بن عوف
الى القسطنطينية فاوغروا في بلاد الروم وحاصروا القسطنطينية وتوفي في
مدة الحصار ابو ايوب الانصاري الصحابي ودفن بالقرب من سورها
ولقد توفي معاوية سنة ٦٠ بعد ان وطأ اكناف الملك وابتكر
في الدولة اشياء لم يسبقه احد اليها ، منها انه اول من وضع الحشم

للمارك ورفع الحراب والسيوف بين ايديهم ، ووضع المقصورة التي يصلي بها الخليفة منفردا عن الناس في المسجد ، وهو اول من وضع البريد لوصول الاخبار بسرعة واخترع من امور الملك ديوان الخاتم ، واستخدم المسيحيين في مناصب الدولة فعهد بنظارة المالية الى منصور وسرجون من نصارى العرب السوريين

عبد الملك بن مروان

اما عبد الملك بن مروان فكان اشد بني امية حزما وبطشا استخلص العراق من شيعة علي وكان المختار بن عبيد قد ثار فيه مناديا بالخلافة لآل البيت ، ولما كان عبد الله بن الزبير ثاراً بمكة وقد يبيع بالخلافة فقد منع عبد الملك اهل الشام من الحج وسبب ذلك ان ابن الزبير كان يأخذهم بالبيعة اذا حجوا ، ويقولون انه اسر الناس بالحج الى بيت المقدس حيث الصخرة في المسجد الاقصى

ومن الاحداث في عهده تجهيز يوحنا امير جبل لبنان اثني عشر الف فارس وذهابه الى البقاع ونزوله في قب الياس ، وغزوه الجبل الشرقي وشنه الغارات على الحجاج وساعده الروم فامدوه بالجند فاضطر عبد الملك الى تجديد الهدنة مع الروم ريثما يتفرغ لهم من مشاغله الداخلية وذلك على ان يدفع ملك الروم كل يوم الف دينار وفرنساً ومملوكاً ويقاسمه على خراج قبرص وارمنيه على شرط ان يخرج اللبنانيين من جبلهم فاجابه ملك الروم الى ذلك ولقب اللبنانيون بالمرده لانهم ابوا الخروج من الجبل وعصوا امر ملك الروم

بيد ان عبد الملك عاد فقاتل المردة واجبرهم على التفريق والسكنى
في بلاد الشام ، ثم استعان بهم المساحون في حروب كثيرة في ايام
الامويين والعباسيين

وكان عبد الملك من الحزم وسعة الصدر وجمال العلم والادب
على جانب عظيم وكان يعد من فقهاء المدينة وفي ايامه حولت الدواوين
الى العربية وفي عهده نقشت الذنير والدراهم بالعربية وهو ازل من
نهى الكلام بحضرة الخلفاء وكان الناس قبل ذلك يراجعونهم
ويعارضونهم

وتولى الخلافة بعده اربعة من اولاده اولهم الوليد بن عبد الملك
وكانت ايامه من ابرك ايام بني امية عمر الجوامع العظام وكتب الى
الامصار بتوسيع المساجد والزيادة فيها وتسهيل الطرق وبث في الامة
روح العمران

وقد بلغ بنو امية في زمنه اقصى درجات عزهم ففتحت
البلاد وتغلغت جيوشه في بلاد الترك والهند والروم ، وفتحت
الاندلس وجاءه موسى بن نصير فاتحها الى دمشق يضع بين يديه
الاموال والجواهر ، ويعرض امامه ابناء ملوك البربر والجزائر
والاسبان والافرنج بتيجانهم وهم اسرى

وبعث الوليد اخاه مسلمة لغزو الروم فقتل منهم اربعين ألفاً

هشام بن عبد الملك

تولى الخلافة هشام بن عبد الملك وهو عاشر بني امية وكان يحب

جمع المال وعادة الارض واصطاع لرجال وتقوية الثغور واقامة
البرك واتني في ضارب مكة وحرج عليه غير واحد يطالبون بالامانة
ابني هاشم نقالهم وكن هشام من البره بني امية غزا الروم مرات
وامر قسطنطين ملكهم وحارب الترك وتوفي سنة ١٢٥

انهيار الدولة الاموية

للملك اعمار كما لافراد ومالك بني امية لم يطل اكثر من ١٢٠ سنة
ودولة بني امية عربية صرفة كما قدمنا سارت مع المدنية اشواطاً مع
اشتغالها بالفتح وقيام الخارجين عليها وقد فتحت على خلفائها الاقطار
فنشروا الدين والاسلام واللغة فيها ووضعوا اسس النظام في الممالك التي
دوخوها وعرفوا ما يصلحها وكانت ادارتهم اشبه بالامر كزية في عهدنا
يبعثون بالعامل فيحل المسائل بجهده على رأي اهل الشرف وانكانة في
القطر الذي يتولاه ولا يفاوض مقر الخلافة الا في اعوص الامور. وقد
نصب عام الامويين الابيض في المشارق والمغرب، نصب في بكنين
عاصمة الصين، كما نصب في بواتيه جنوبي فرنسا. ولقد نبغ في ايامهم
قواد عظام دوخوا الممالك بجيوش قليلة مثل موسى بن نصير وضارق بن
زياد وقتيبة بن مسلم وعقبة بن نافع الفهري ومسلمة بن عبد الملك وكثيرون
غيرهم ونبغ في ايامهم شعراء عظام امثال الفرزدق وجريز والاخلط وبشار
بن برد وعلما اعلام في الادب والتاريخ وغير ذلك.

اسباب السقوط

ولقد سقطت دولتهم امام الدولة العباسية لاسباب تقدمنا بالكلام

عنها وسنتكلم عن سواها في الفصل الذي يليه ولما سئل احد شيوخهم عن اسباب زوال ملكهم قال :

« جار عملنا على رعيتنا فتمنوا الراحة منا ، وتحومل على اهل خراجنا فجعلوا عنا ، وخربت ضياعنا فخربت بيوت امواننا ، ووثقنا بوزرائنا فأثروا مرافقهم على منافعنا ، وامضوا اموراً دوننا اخفوا علمها عنا ، وتأخر عطاء جندنا فزال طاعتهم لنا . واستدعاهم عندنا فظافروه على -ربنا ، وطلبنا اعداءنا فعجزنا عنهم لقلة انصارنا ، وكان استئثار الاخبار عنا من اوكد الاسباب لزوال ملكنا »

الفصل السابع والعشرون

العباسيون في بغداد

الدولة العباسية والخلافة العباسية ، انتشار ملك بني امية

سياسة الدولة العباسية ، اسباب السقوط

سوريا في عهد العباسيين

الدعوة العباسية والخلافة العباسية

كان بنو العباس ، وهم ابناء عم النبي من جملة المطالبين بالخلافة ، ولكنهم كانوا لا يتصدون لطلبها والامويون في ابان دولتهم مكتفين بالدعاية الى انفسهم سرّاً ، وكان العلويون والعباسيون في ايام ضيقهم

واضطهادهم يتقاربون لانهم من بني هاشم وكلا الرهطين اعداء بني امية من قبل الاسلام .

وظل العباسيون يتسترون في دعوتهم وهم يقيمون في الحميمة من اعمال البلقاء بالشم حتى ضمت شأن بني امية فهموا بالنهوض ، واتفقوا في اثناء ذلك ان الفرقة الكيسانية وهم دعاة ابن الحنفية صارت دعوتها بعده الى ابنه ابي هاشم وكان ابو هاشم هذا يقد على خلفاء بني امية من المدينة الى الشام فيحرثنا الطريق بالحيسة ، ففي بعض وفداته على هشام بن عبد الملك انس هشام منه فصاحة وقوة وميلاً الى الرئاسة مع علمه بطمعه بالخلافة ، فاجس منه شراً ويقولون انه دس اليه من سمه ، فشر ابو هاشم بدنو اجله وهو في بعض الطريق فخرج الى الحميمة وصاحب الدعوة العباسية يومئذ محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فنزل عنده ولما احس بدنو الاجل خف ضياع البيعة وهو بعيد عن اهله فاروى الى محمد المذكور بالخلافة بعده ، فلما مات ابو هاشم تمس محمد بالخلافة وايقن بالنجاح لانه اكتسب حزب الكيسانية جميعاً فخذ في بث الدعوة سرّاً ثم توفي وقد اوصى بالخلافة بعده الى ابنه ابراهيم وهو المروفي بالامام اخذ ابراهيم الامام في بث دعائه وبدأ بخراسان لثروته من اهالي اكثر من كل الامصار ولان اكثر اتباع الشيعة الكيسانية في خراسان والعراق وقد نصرروا العارفين مراراً فانفذ اليهم دعاة الكيسانية الذين كانوا مع ابي هاشم واوصاهم ان يطلبوا بيعة الناس باسم آل محمد وايعين احداً من العباسيين او العاويين ، وكان الخراسانيون قد ملوا الدولة

الاموية فهان عليهم ان يعضدوا الدعوة الجديدة عليهم يجدون فيها خيراً ،
وتوفق ابراهيم الامام في اثناء ذلك الى اني مسلم الخراساني القائد المشهور
قام امرهم وسلم لهم الخلافة والملك .

انتشار الملك

وكان ملك الامويين مضطرباً في ايام آخر خلفائه مروان بن محمد
وكانت اعراض الانحلال تظهر بسرعة فيزداد اعداء الامويين قوة وجراًة
ولما بويع بالخلافة لابي العباس بانكوفة كانت جيوش العباسيين تطارد
الامويين مطاردة وينتثر سلك الملك سلسلة بعد سلسلة بصورة سريعة ولم
يكدر العراق يدخل في طاعة العباسيين حتى ارسل ابو العباس عمه عبد
الله بن علي الى الشام فافتتح دمشق سنة ١٢٣ وابعاه لجنده ثلاث ساعات
وقيل انه بها ثلاثة ايام ووضع السيف في اهلها ونبشت قبور بعض الامويين
ولم يبقوا على غير قبر عمر بن عبد العزيز اعترافاً بفضله وتقراء ، ونقضوا
سور دمشق حجراً حجراً .

المبنايون وثوراتهم

وفي سنة ٢٥٠ تزع المبنايون الطاعة وعبطوا لبقع فنبهوه فاجتمعهم الممك
العباسية من دمشق وقتل زعيمهم ليس
ولقد ذات الشام في وقت ملك العباسيين في ثورات وقت عظيمة بين القبائل
القيسية والقبائل اليمنية وكان يحث كثير من يقوم احد الامويين مطالباً بالخلافة
تأثراً على العباسيين فيمنه اهل الشام ويحربون معه ، وتظهر من من الشام بعد سقوط
الامويين ندموا على تركهم عن مساعدة ولذود عن دولة ، فجهلوا ان يردوا ما
وقع ، فكان ما كان من كثرة الاضطرابات .

سياسة الدولة العباسية

قامت الدولة العباسية بأفارس وغيرهم من الرعايا وفيهم الموالي وأهل الذمة ولم يقبض العباسيون على أزمة الملك جعلوا عاصمة ملكهم بين شيعتهم في العراق فأقاموا أولاً بالكوفة ثم في الهاشمية حتى بني المنصور مدينة بغداد على دجلة فجعلوها دار الخلافة وقربوا الموالي الفرس خصوصاً أهل خراسان فجعلواهم بطناتهم ورجال دولتهم ولا سيما الذين حاربوا مع أبي مسلم في طاب الخلافة ضمهم واشهرهم خالد بن برمك جد الوزراء البرامكة وكان عاقلاً حازماً فمما يعمل للعباسيين محلاً لشك في صداقته فقربوه وأول من استوزره أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين ثم تولاه المنصور وتوالت الوزارة في اعتقابه إلى يحيى ابنه فيجعفر ابن ابنه وهو الذي زكب البرامكة على عهده

ولكن العرب لم يكونوا يثقوا بذلك ولا كان هذا مما يرضيهم وكانوا يستغربون إذا جاءوا مجلس الخليفة أن يروا الخراسانيين يذهبون ويحيثون ويدخرون على الخليفة كأنهم من أهله والعرب يتفنون ببابه لا يؤذن لأحد منهم إلا بمشقة وبعد انتظار طوي

وكان المهدي ابن المنصور إذا أراد الشورى تبع خاصته للمداولة وأول من يتكلم منهم الموالي فأصبحت بطننة الخليفة ورجال دولته وخاصة حكومته من الموالي الفرس واشتهر منهم بيارات بالوزارة والولاة كآل برمك وآل وهب وآل سبن وآل طاهر وغيرهم فكان رجالا العرب من بطننة الخليفة يكيئون لهم نظريتهم من رجل فارس

حتى تم لهم الامر في عهد الرشيد وبطش يومئذ بالبرامكة فاهلك رجالهم
وحجز اموالهم وكان ذلك من الاسباب التي حملت الفرس على النقمة
على العباسيين ودولتهم وعلى الانتصار للمأمون ضد اخيه الامين لان
والدة المأمون فارسية ووالدة الامين عربية

واخذ الخلفاء بعد الرشيد والمأمون بالاستكثار من الخوارج الترك
وكانت بلاد الترك في ذلك حين يعبرون منها بأودية النهر فلما فتح
المسلمون بخارا وسمرقند وفرغانة وخراسان وغيرها من تركستان في
ايام بني امية وجاءت الدولة العباسية وجعلهم يؤدون الجزية والخراج
وكانوا يحملون في جملة الجزية ولاء من امن بديعة تركستان يبيعونهم
بيع الرقيق وهم في الغالب من السبي او الاسرى وكان هؤلاء يتفرقون
في بلاط الخلفاء ومنازل الامراء ويدينون بالاسلام وكانوا يتمازجون
بقوة الجسم واشجاعة والمهارة في رمي المشاب والصب على الاسلحة
واول من استخدم الاتراك في الجندية من الخلفاء المنصور العباسي
ولكنهم كانوا في عهده شرذمة صغيرة وثنا كن الشأن الاكبر لجند
العرب وجند خراسان فلم تولي المعتصم خلافة وكانت امد تركية رضى
ان ينقوى الاتراك فجعل يتخير منهم الاشياء يحتاجهم بالمل من ثوابهم
بالعراق ويبعث في طلبهم من تركستان حتى اجتمع عنده منهم عدة لاف
فالبسهم لباسا خاصا وميزهم عن سائر الجنود واستجلب المعتصم بعض
امرائهم ورجالاتهم من بلادهم وحسن لهم الاقامة عنده وبني لهم مدينة
خاصة (سامرا) اقطعتهم فيها الارض وجعلها عاصمة الدولة العباسية

ولقد اشتد ساعد الاتراك بعده وغلبوا على امور الدولة واخذوا يعمالون على ابتزاز الاموال وكانت الدولة قد تجاوزت طور الشباب واخذت بالتقهقر وانغمس الخلفاء بالترف والقصص وعجزوا عن القيام بشؤون الحكومة فاصبحوا لا يلبفون منصب الخلافة الا بالجند التركي وهو لا يعملون عملاً الا بالمال فمن استطاع استخدام الجند ملك وليس هناك عصبية ولا جنسية ولا جامعة دينية ولا وطنية . واصبح البطش والفتك محور هذه الحركة اما استبدادهم في بلاط الخلفاء فابتدأ في ايام المتوكل لانه لما تولى الخلافة سنة ٢٣٢ هـ وكان يكره الشيعة وهم جند خراسان اغرق في تقديم الاتراك ورعايتهم ، ثم اغراهم ابنه المنتصر (اوهم اغروه) على قتله فقتلوه وكان ذلك اول جرائتهم على الخلفاء . ولم تطل مدة المنتصر بعده الا اشهرًا ثم هلك ، فقام بالامر بعده المستعين بالله سنة ٢٤٨ هـ ثم المعتز بالله سنة ٢٥١ هـ وقد استفحل امر الاتراك استفحالاً عظيماً في هذه الفترة فقتلوا المعتز شر قتلة وسملوا عيني المستكفي وحبسوه حتى توفي في حبسه

اسباب السقوط

ذلك كان شأنهم حتى انهيار الدولة العباسية وسقوط بغداد ، ونحن نعتقد ان دخول الترك في الدولة كان من اعظم الاسباب التي ذهبت بالدولة العباسية فقد اصبحت الخلافة بواسطتهم اسمية دينية فقط لا تمتد الى قرى بغداد الا قليلاً ، وغدا الحكم الفصل لمن قويت شكيمته من الدخلاء ، وبعد ان كانت بغداد ترسل الى الشام اولاد خلفائها واعاظم قوادها اصبحت ترسل اليها افريدون اتركي وخاقان التركي ومحمد المولد من الموالي وظهر الفرق في الحكم لان الحكم كان فردياً لا شوري فاذا لم يكن

الحاكم او المامل غاية في الشرف والعلم والادب فهناك الفوضى ولاستبداد وظلم الرعية ولقد افضى هذا التساهل مع الاعاجم والاعتماد عليهم الى جر البلاء على الخلائف من بني العباس والى تفرق الدول الاسلامية ، وبعد ان كان العرب اصحاب الدولة اصبحت الابواب تفتح لكل دخيل عليهم ولم يعد حكمهم لقيس ولا مضر وعين بل للاعاجم من الفرس والترك والديلم فتبدلت روح الدولة وبعد ان كانت عربية خالصة ، اصبحت خليطاً من الاجلاف .

سوريا في عهد العباسيين

ولقد مضت مئة واثنان وعشرون سنة على سوريا بعد انقراض دولة بني امية وهي لاتخلو من الفتن والحزبات ، تسمع فيه اسم غير واحد من الثائرين من ارباب العصبية العربية ، فتن يثور بركانها ثم يهدم الى حين ، وتزاع على الملك والسلطان ، ولم تعامل البلاد بخسنى الا في عهدي الرشيد والمأمون ، فقد كانا يولييان على سوريا اقدر رجلاهما والسوريون يرضيهم من الخلفاء حسن سياستهم والنظر بعطف على مصالحهم . بيد ان هذه السياسة لم تطل زمناً طويلاً ، فقد تسلسل الوهن والانحلال الى الدولة العباسية واخذ عمالها في اطراف ينتقضون ويستقلون كل في مقطعة ، وليس تاريخ سوريا بعد هذا العهد الا تاريخ دول صغيرة وممالك ضعيفة تنهض حيناً ثم يجمد نورها بعمده

انهيار الدولة العباسية وامارة بنى طولون

وبينا كانت دولة الامويين في الاندلس في ابان عزها في القرن الثالث للهجرة كانت دولة العباسيين تضطرب وتزعج ، خصوصاً في النصف الثاني من المئة الثانية ، وعمال فارس ومصر والشام وغيرها يقطعون الخراج عن دار الملك ، ويستبدون بالامر ، وليس للخليفة العباسي الا الخيبة والسكينة ، وكان اهم هؤلاء النازعين احمد بن طولون في مصر والشام وهو اول متمسك ظنر حقيقة تلك الشام فوسع العباسيين الامانة بعد ان حاولوا محاربته فعجزوا ، وكان احمد هذا يتولى مصر في اول الامر باسم احد قواد الترك (سنة ٢٥٤) وكان الخليفة العباسي قد اقطعها له ، ثم لما استوثق من نفسه القوة هبط على سوريا فاستخلصها لنفسه وضماها الى مصر ، وكان ابن طولون عادلاً حسن

السياسة عالي المهمة بعيد النظر ، يجب العبارة كثير الصدقات ، وقد تزوج الخليفة المعتضد ابنة ابنه واسمها قطر الزدى وكانت من اجمال نساء عصرها وكان جهازها عظيماً جداً يقال ان مقداره الف هاون ذهباً

وخلف ابن طولون ابنه على ملك الشام ومصر واسمها خمارويه وكان جيشه يعد ثلاثة الف ، وكان يدينه وبين الخليفة الحرب انتصر خمارويه في اخرها ، وفي ايامه استقامت شؤون الدولة المصرية وصلحت احوال الناس .

وبعد وفاته قام ابنه بالامر من بعده فلم يحسن السيرة ففقدته الجيش ، واغتتم الفرصة الان الخليفة العباسي المكتفي فبعث احد قواده الى دمشق فاستولى عليها من عمال آل طولون ثم سار الى مصر وذبح من آل طولون عشرين انساناً ، واخذ من بقي الى بغداد وبذلك تقرضت الدولة الطولونية في مصر و سوريا وقد دامت من سنة (٢٥٩ هـ - ٢٩٢ هـ) .

وفي ايام الخليفة المكتفي ظهر اقرامطه وهم من الخوارج فقطعوا السبل وسطوا على المسافرين وتمكن الخليفة من القضاء عليهم بعد جهاد عنيف

الفصل الثامن والعشرون

الفاطميون ، والساجسون

والخروب الصليبية

تغلبت على سوريا ثلاث دول في مدد متعربة ، وهي الاخشيديين ، والحمدانية والفاطمية ، اشتقت الدولتان الاوليتان من الدولة العباسية ، بمعنى ان الاخشيديين والحمدانيين كانوا كالتولونيين من عمال العباسيين قروي امهم فاستبهر بسوريا وانشروا لهم ملكاً صغيراً ، ولكن دولة الفاطميين على خلاف ذلك فهي دولة علموية شيعية قامت سنة ٢٩٦ بالمغرب واول من ولي منهم ابو محمد عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن

ميمون بن محمد بن اسمعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم .

دعا الدعاة اولاً بالمغرب الى محمد والد المهدي عبيد الله وكان بسلمية من اعمال سوريا ولما توفي اوصى الى ابنه عبيد الله المهدي واطلمه على اسرار الدعوة واسماء الدعاة ، وشيع ذلك ايام المكتني العباسي فطلبه فهرب عبيد الله وابنه ابو القاسم محمد الذي ولي به . د المهدي وتلقب بالقاتم وتوجه نحو المغرب ، وتزل بلدة تاهرت ، وعظم شأنه بين القبائل واستجابت دعوته ومنك ومن بعده معظم شمالي افريقية وجزائر البحر المتوسط بمشرك صقلية وساردينية ومالطة وغيرها ، والخليفة المعز الذي فتح مصر والشام هو رابع خلفائهم ولما هلك كافور اخر الانشيديين في مصر تزل الفاطميون مصر وكانت متفرقة الاهراء ، اقتتحها القائد جوهر على رأس مائة ألف جندي ، ونادى بالخلافة للمعز الفاطمي ثم ارسل جوهر احد قواده فاستولى على فلسطين وجبي اموالها ، ثم افتتح الشام ، فم الخطبة للمعز فيها سنة ٣٥٩ هـ ، واصبح الفاطميون خلفاء مصر وسوريا والمغرب

مرت الدولة الفاطمية في ثلاثة ادوار تشبه الادوار التي مرت بها الدولة العباسية فالفاطميون عرب قامت دولتهم بالعرب والبربر من سكان افريقيا فكان الفرد مشتركاً بين هذين العنصرين ثم حصار الى البربر ثم الى الاتراك السلجوقيين وكجزء البلاد في معظم عهد الفاطميين كرتة ، تشذفتها القوات المختلفة فقد قامت عليها كل هذه القوى تطلب زوالها لانها لم تحسن السياسة ، فالعباسيون ، والحمدانيون ودولة بني مرداس ودولة بني الجراح ودولة بني سنان الى غيرها من الدول وكلهم امراء عرب البادية اخضعوا المدن لسلطانهم ، وكان قيامهم بدأ لهذه النهضة العربية دليلاً على ضعف الدولة الفاطمية وسوء ادارتها في سوريا

ولقد كانت معظم ايام الفاطميين فتوحاً وفتناً ولم يحقق علمهم على الساحل الا لينة تقص الداخل ولا على الداخل الا ليشور الساحل ، واذا اطاع الجنوب اهتز الشمال ، فكان الشقاء في ايامهم اكثر من السعادة ، وكانت الاهواء مشتتة والاراء ممزقة ، وان كان اول خلفائهم من الملك الشام كائز والعزير يجبان العدل والانصاف ولهما من الخزم قسط

وافر الا ان الولاة الذين تولوا الشام على عهدهما كانوا في الاكثر ظلماً يسفكون الدماء ويستحلون اموال الرعية ، فخرّب القطر في ايامهما ، وضعف اهله وغلّت الاسعار ولا سيما على عهد العزيز ، اما في عهد الحاكم فان البلاد كانت الى الحلل المطلق للحلل في عقله وخرق في سياسته ، وكانت بعده تختلف باختلاف العامل الذي ترسله مصر ، وبينما القطر متقلقل في ادارته وسياسته قبلت من الشرق قوة عظيمة لا قبل له بدفعها وهي قوة الترك السلجوقيين

السلجوقيين

والسلجوقيون نسبة لسلجوق من امراء الترك في جهة بخارى ، وهم اول الترك الذين دنوا بالاسلام ، ولما سار السلطان الب ارسلان ثاني ملوك السلجوقيين بجيوشه الى الشام كانت مملكته تمتد الى الصين شرقاً ومن اقصى اليمن غرباً ، افتتح حلب سنة (٤٦٣) ثم سار الى فلسطين فافتتحها وفتح بيت المقدس وحصر دمشق حصراً شديداً ، ولما ملك السلطان ملكشاه ابنه شدد الحصار على دمشق بواسطة قواده حتى افتتحوها ، وكان السلجوقيون يخطبون في البلاد باسم العباسيين وكانوا على مذهب السنة وهو ما حجب السوريين في ملكهم

بيد ان الفاطميين عادوا فحاصروا دمشق مرة ثانية واستولوا على اعمالها واعمال فلسطين ، ولكن ذلك لم يدم طويلاً فاضطروا الى الاكتفاء بمصر ، ولم تكن سوريا الان بحالة امن وسلام بل بالعكس كانت الثورات والفتن والحروب فيها قائمة قاعدة وقد اخذ يحكم المدن السورية بمالك من طرف ملكشاه التركي ، وانقسم السلجوقيون فيما بينهم وجنت سوريا ثمرة هذا الانقسام

الحروب الصليبية

ولم يتمتع ملوك الترك بفتحهم سوريا زمناً طويلاً ، فقد هبط الصليبيون بعدها بسنين قليلة ، وكانت البلاد خلال ذلك في هرج ومرج يتطاحن امراؤها فيمزق بعضهم بعضاً ، والقطر نهب ايدي ملكشاه خليفة الب ارسلان واخيه قتش ثم اولاده ،

والسلاجقة، يوثرون العباسيين ويخطبون باسمهم والفاطميين قد اكتفوا من سوريا بساحلها وربما كان في استيلاء السلاجقة على سوريا بعض الحكمة فلولاهم لكانت البلاد تفرقة الأحزاب والدول الصغيرة ، فقيام دولة فتية بجيش جرار اشتهر بالشجاعة يقف امام الفرنج كان فوق استطاعة العراق وسوريا والجزيرة تجنيد مثله .

ولقد اتحن بنو سلجوق في آسيا الصغرى في جيش صاحب القسطنطية بايعاز السلطان ملكشاه وضايق الامير برسق الروم حتى قرر على القسطنطية في كل سنة حمل ثلاثمائة الف دينار للسلطان وثلاثين الف دينار له ، جزية يؤديها ، وخاف ملك الروم على مملكته من المسلمين فكاتب يستنهض ماوك اوروبا لمساعدته ، وعرض على البابا خضوعه ان عملت اوروبا على رد الخطر الذي يداهم . ولقد كان التعصب الديني شديداً في الغرب لهذا العهد ، فاعوز البابا بعض اخصائه ان يثبوا فكرة الحرب الصليبية وتحليص القبر المقدس من ايدي المسلمين في نفوس الشعب ، وتقبل الشعب هذه الدعوة بشجع وطمع ، فكان ذلك بدء النزاع الهائل بين الاسلامية والمسيحية او بين الشرق والغرب

وتزل الآن بنو حمدان ^(١) في حلب وهم خلفاء سيف الدولة تحت حكم الدولة الفاطمية لانها كانت تدعى بدينهم ، واسكن الفاطميين لم يروا نصيراً قوياً في سوريا لان السواد الاعظم من اهل السنة والشيعه كانوا يخافونهم في مذهبهم ، فكثرت الخارجين على هذه الدولة وكان العباسيون يحركون اهل البلاد سراً على الثورة وكانت الحروب سجالاً فيوماً يضطر الفاطميون للتقهقر وآخر يتقدمون منتصرين فاتحين .

ولقد كان الفاطميون ايام المعز والعزیز على جانب من القوة استكثروا من الجند فكان عدده يقرب من مئة وخمسين الفا وغيره كثير من الروم والصقالبة والبربر وكان عندهم مال كثير ، فبمثل هذه الجيوش ، وهذه الاموال استقام الامر للفاطميين في مصر وسوريا والمغرب وحكموا الى الفرات ومكة والمدينة فلما ضعفوا اصبحت البلاد في فوضى واضطراب واصبح القول للعامة وخصوصاً في سوريا

(١) بنو حمدان دولة عربية من بني تغلب استقلت بالموصل وحلب بين سنة ٣١٧ - ٣٩٤

وبعد ان كانت سوريا في القرن الاول ومنتصف القرن الثاني مصدر الحياة العربية ومنبعث القوة الحربية امتست في القرون التالية العوبة اهواء الدخلاء وطعمة الطامعين من اهل البوادي ومن جرت عليهم احكام الرقيق من العبيد والبرابرة

نهضة عربية

بيد انه لا ينكر ان القرن (الثالث بعد الهجرة) كان عصر جدة عربية بعد الغفلة السياسية ايام العباسيين و ايام تغلب الفرس ثم الترك على شؤون الدولة ، فقد كان العرب ناقلين غاضبين وقد ثارت حفيظتهم لتوسيد المناصب ذات الشأن لغيرهم فهبوا يطالبون حقهم ، وتمكنت بعض قبائلهم باسباب مختلفة من انشاء امارات صغيرة في ما بين النهرين والشام تحت رعاية العباسيين ، وقد ساعدتهم على ذلك ما قام من الفتن والحروب بين الخلفاء العباسيين واجتادهم الترك في القرن الثالث والرابع للهجرة ، فاستقل آل حمدان من بني تغلب بالموصل وحلب ، من سنة ٣١٧ - ٣٩٤ واشهر امرائهم سيف الدولة وشاعره المشهور ابو الطيب المتنبّي

وظهر في العراق دولة عربية اخرى اسمها المزيرية ، وخلف بني حمدان في الموصل بني عقيل ، وفي حلب المرادية وهتاك دول صغيرة غير هذه ظهرت عربية في حكامها ونظمتها ونهضتها ووطنيتها .

الحضارة العربية^(١)

اوغل العرب المسلمون في الشام والعراق والفرس ومصر فالفوها بلاداً ذات حضارة كاملة الاداة والمظهر . وجدوا فيها ثمرات الاجتماع من فلسفة وعلم وفن . وتلك شئون ليس لشبه الجزيرة بها عهد . ولكنهم الفوا الجانب المعنوي من هذه الحياة الحضارية ضعيفاً متهدماً تحرّره الترف وزعزعت اسمه المظالم . هذا الضعف في ايمان النفس هو الذي فتح امام النفوس العربية التي ازدادت بايمانها الجديد قوة وحاسة اسوار هذه الامم . فبدأ العرب اول فتحهم هذه البلاد ينشرون الدين فيها ويقيمون العدل بين اهلها ويعفون

(١) من فصل للدكتور هيكل

عما استقر من الحضارة بين ربوعها . ولكن فترة الغزو الاولى لم تلبث ان تمر ولم يلبث العرب ان اطمأنوا الى معاني النعمة التي افاضتها عليهم خيرات البلاد المفتوحة حتى بدأوا يترددون في وجوب التمتعف عنها . ولعل اول مظاهر هذا التردد صراحة انتقال حكومة الدولة من مكة والمدينة الى دمشق . فليس شك في ان من الاسباب التي ادت الى هذا الانتقال ما رأى العرب من فقر شبه الجزيرة واقفارها . ومن استحالة قيلم الحضارة فيها . وبانتقال الحكومة الى دمشق واخذ الخليفة من مظاهر الترف بتعذيب بداهو لا . الذين قضوا حياتهم الى ذلك الحين في شطف من العيش ينالون من آثار النعمة ما يوفيه عنهم مضض الجهاد وما يزيدهم للغزو حياً وفيه امعناً

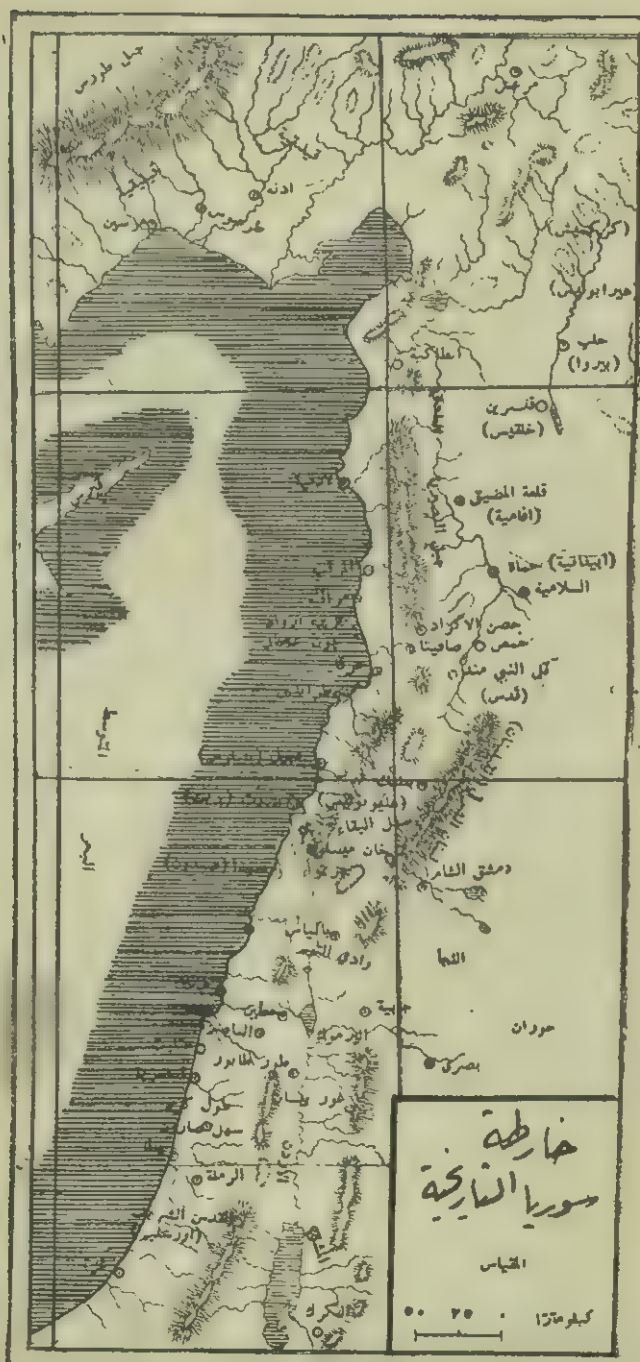
ولقد استطاع العربي ان يتمثل حضارة البلاد التي مر بها . بل استطاع اكثر من ذلك ان يهضم الحضارات المختلفة وان يسيغها وان يجعل منها حضارة واحدة هي الحضارة الاسلامية

فكانت حضارة بغداد وحضارة قرطبة غاية ما وصل اليه التقدم الانساني في تلك العصور . ولما تدهورت دولة العرب وقام التركز على حكم المسلمين وقفت هذه الحضارة التي ساغها العقل العربي فلم تتقدم وظلت واقفة الى زمن قريب من عصرنا الحاضر ثم هبت عليها نجات من الحياة تبعث في النفوس اليوم اكبر الامل ان يعود لهذه الحضارة مجدها وسلطانها

بيروت واخبارها في عهد الامويين والعباسيين

كانت بيروت في عهد الامويين تابعة لدمشق، وكان اكثر اهلها من الروم المسيحيين، ثم صار المسلمون يتكاثرون فيها ، والروم يقلون حتى صار اكثر اهلها مسلمين . اما في عهد العباسيين فاشتهر في بيروت الامام الاوزاعي الذي توفي سنة ١٦٧ هـ . (٣٧٧٣ م) في آخر خلافة ابي جعفر المنصور وهو ابن سبعين سنة . وهو امام اهل الشام وعالمهم ، قيل انه اجاب في سبعين الف مسألة وصار يعمل بمذهبه ، في سوريا نحو مائتي سنة ، وكان عظيم الشأن في سوريا ، وقبره لا يزال خارج بيروت مقصداً للزائرين

اشأنا هذه الفصول عن الدولة العربية تكلمة لما قدمناه في هذا الكتاب ونحن ندرس تاريخ سوريا ولبنان عنها ، زيادة في الفائدة ، واشاعاً للبحث ، مقدمة لدراسة التاريخ الاسلامي في الكتب الكبيرة





الانسان الاول في المغاور

الانسان الاول

كان الانسان الاول عارياً لا يستتر جسمه الا شعره الكثيف ، وقد لا يبعد ان يكون تعلم لبس الخلود منذ زمن بعيد ، بيد انه في اول الامر رمى بها قريباً من المكان الذي يعيش فيه ، وذلك بعد ان سلب الخلد عن الحيوان وازدرد لحمه ، فلما قرصه القتر وضعها عليه واستعملها كغطاء لاطفاله وصغارهم

وكان الانسان الاول اكثر ما يعيش في المغاور وعلى ضفاف الانهر وفي الاشجار مضافة ان يفتسه الحيوان الكاسر على عرة ، وكان يوقد النار ليلاً رهيباً للحيوانات ورغبة منه في الاستئناس مع اولاده وعائلته

واقدم كان الانسان الاول يصطاد الحيوانات التي تربه ويراهها في طريقه ويقتلها بقوس في يده ، ولم يكن يعرف كيف يطبخها فكان يأكل اللحم نيئاً طرياً ولم يكن هذا الانسان صياداً بالمعنى الصحيح وخصوصاً قبل ان عرف القوس ، فقد كان يهاب الوحش الكاسر فلا يتعرض له بخير ولا بشر ، وكان يعيش اكثر الاحيان على اثمار الاشجار وكان يأكل الحيوانات الميتة ، بل ويأكل بعضه بعضاً اذا اعوزه الغذاء وعرضه الجوع . وذلك منذ آلاف كثيرة من السنين .

وهذه الصورة تمثل لانسان الاول خارجاً من احد المغاور التي يسكنها وهو يحمل هراوة في يده يرد بها عادية اعدائه عنه

المعكمة الاولى

تصور الانسان الاول منذ ثلاثمائة الف سنة تقريباً ، تراه ابكماً لا يستطيع كلاماً ولا يفكر الا في اقرب الاشياء اليه ، ولا يفرق بين الجاد والحلي ولكنه كان يعتقد بالحياة بعد الموت فيدفن امواته ومعهم الكثير من الآنية والطعام . وكان هذا الانسان يخشى زعيم القبيلة وكبيرها ، ويربى اولاده وهم صغار على هذا الخوف ، فكان من المحظور عليهم ان يلمسوا الزعيم الكبير او ان يجلسوا مكانه ، كما هو الحال مع اطفالنا اليوم حين نحظر عليهم اللعب بغليون والدهم والجلوس على كرسية .

وكان الرجل الكبير حتى بعد وفاته محترماً ، وكلوا يعتقدون انه وقد حارب في سبيل قبيلته ايام حياته لا يبعد ان يحارب في سبيلها بعد مماته ، ومن هنا نشأت فكرة تخويف القبائل الاخرى بكبير قبيلة ثنية ، وكلما كان الرجل الكبير في حياته قوياً شديداً وبطاشاً كلما كان صدى قوته بعد موته عظيماً وكان الرجل الكبير في حياته زعيم القبيلة ومدير امورها والحاكم في مخصصاتها ، وصورتنا هذه تمثل احد هؤلاء الزعماء يحكم بين افراد قبيلته في مايعرضون عليه من مشكل ونزاع .



زعيم القبيلة يقضي في قبيلته



رغبت جماعات من بني الانسان في سكنى لانهر وبناء مساكن خشبية لها في وسطها وذلك خوفاً من الحيوانات الكاسرة ومن بعضها بعضاً ، وكان يحدث كثيراً ان تلعب النار في بعض هذه (المستعمرات الخشبية) قتلتهمها وتذرها رماداً ، وتحمل اهلها على مغادرتها نافرين باكين .

وهذه الصورة تمثل فريقاً من سكان هذه (القرى النهرية) في سويسرا وقد لعبت النار في مساكنهم وهم يبتعدون عنها في زورق صغير وقد تملكهم الجزع والخوف . وتاريخ هذا الحادث منذ عشرة آلاف سنة



البرنيس نفرت المصرية

المرأة المصرية في العصور القديمة

لا تزال الآثار المصرية موضع إعجاب الشعوب في كل زمان ومكان ، ولا يزال علماء الأرض يقصدون وادي النيل للحفر عن أثر قديم ، ودرس ما في مصر من نصب قائم ، ومباني عظيمة . ولم تكن مصر امة حربية كاشور مثلاً بل امة عمل وصناعة وفن ، ولا تزال آثارها الخالدة على الاجيال قبله العالم الحديث ، وما هذه الآثار الباقية الا بقية يسيرة من رأس المال .

وان من اغرب مظاهر الحياة في مصر ان تتمتع المرأة المصرية بجميع حقوقها المادية والادبية حتى في التربع على دست الملك خلافاً لما كانت عليه المرأة الشرقية او اليونانية في العصور القديمة ، ولعل ذلك راجع لدماثة اخلاق المصريين ورقهم علماء وعملًا .

ولقد ضاع الكثير من آثار مصر ، واندثرت بذلك جميع العلوم والفنون المصرية القديمة وكاد يقضي على الباقي جهل العالم لغة مصر الهيرغليفية لولا ان قام في القرن الخامس من عمل على حل رموزها وهوشامبليون الافرنسي ، فتيسر لنا بذلك قراءة المنقوش على جدران الاهرام والمقابر وما هو مكتوب على الاوراق البردية المحفوظة في المتاحف العالمية . وهذه الصورة تمثل البرنسس نفرت المصرية التي عاشت في مصر منذ ستة الاف سنة .



الفينيقيون التجار

اعظم اعمال الفينيقيين ما صرفوا اليه عنايتهم من المتاجرة وحمل عادات الامم الشرقية الى الغربية وعادات هؤلاء الى الشرق ، ورسمنا الحاضر يمثلهم على شواطئ انكلترا يساومون اهلها ويعرضون عليهم ما حملوه من الشرق من بديع الصناعة والطياف الحياكة وجميل المنسوجات



الاسكندر المقدوني

الاسكندر المقدوني

في اليوم الذي في عشر من شهر يونيو سنة ٣٢٣ قبل الميلاد اشتدت وطأة المرض على الاسكندر المقدوني في قصره في بابل وشاع الخبر في المدينة والجيش ، وما كاد يبلغ مسامع المقدونيين وهم رجاله وجنده حتى ساورهم القلق وقلقهم جنح فازدحوا حول القصر طالبين بالخرج رؤية الملك ظناً منهم انه قضى بحبه ، واحقت حشيته الخبر عنهم ، ولم رأت احشية شدة توسلهم واحاحهم فتحت لهم ابواب القصر فوجوه الواحد تلو الآخر ، واخذوا يقولون اسم الاسكندر الذي كان يرفع راسه رعباً شديداً ويشير ببعينه اليهم اشرت بوجهي ، وفي مساء اليوم التالي ١٣ يونيو مات عند ان العظمى ولما يبلغ من العمر ثلاثاً وثلاثين سنة قاماً ، بعد ان ملك السبع ايام حتى عشرة سنة وثمانية اشهر .

القواد الانذاذ قلائل في العالم والاسكندر كان فرداً فذاً في التاريخ ، فتح العالم القديم باقليل من الستين وقضى على دولة الفرس في ثلاث معارك ، ودان له العالم القديم المعروف في اقل من سنتين فامتدت مملكته من بلاد اليونان الى اقصى الحدود الروسية اليوم ومن اقصى الفرت حتى الهند

فاعجب لهذه المملكة العظيمة يفتتحها فتى يافع في الثلاثين من العمر و كان الاسكندر طامحاً طامعاً ، فكر في توحيد العالم ونقل عدى الغرب الى الشرق ، والشرق الى الغرب ، ورأى تنفيذاً لفكرته هذه ان ينقل جماعات من بني الشرق الى الغرب ومثلهم من الغرب الى الشرق ولو تم له ما اراده لكان للتاريخ القديم والمتوسط والحديث غير طوره الحاضر ، وحديثه المعروف



الجنود الفارسية منذ ثلاثة آلاف سنة

اشهر اكبر دولة عسكرية ظهرت في الشرق القديم وسارت فارس على آثارها
فكانت جنودها تسير من اقصى الفرات الى اقصى النيل من فتح الى فتح ونصر الى
نصر ، حتى حاولت استعباد اليونان فردوها خاسرة وهذا الرسم يمثل بعضاً من جنود
فارس وهو اقنودج لللباس العسكري في ذلك العهد



ضحايا الالهة في فينيقيا

ليس للمساحة شأن عظيم في التاريخ فقد يحدث كثيرا ان يقوم شعب صغير في ارض ضيقة فيغلب دورا عظيما في تاريخ العالم ، كذلك كان شأن الفينيقيين والقرطاجنيين وسكان اثينا وسبارطا في القرون الاولى وكذلك كان شأن جنوى وفلورنسا وفينس وبيزا في القرون الوسطى ولقد اتينا في الفصول التالية على شي من تاريخ الفينيقيين فليس لنا ما نزيد الآن انه كان يغلب عليهم في مناسك دينهم الفسق والفجور والشراسة ، وهذه الصورة تمثلهم وهم يقدمون اطفالهم ضحايا لالهتهم ، وذلك رغبة منهم في اجتذاب غضبها واكتساباً لرضاها



الفارس الصليبي

ليس اكبر من سلطان الدين في العصور المتوسطة ، فقد كانت كاتبة الكنيسة لا ترد ، وحكم البابا امراً مزمناً ، غضب احد البساوات على امبراطور الالمان في العصور المتوسطة لأمور انكرها عليه فخرمه ، فاضطر الامبراطور ان يأتي رومية حافياً عاري الرأس وان يقف على باب البابا ثلاثة ايام بلباس الصنم والمغفرة . فلاتعجب بعد ذلك ان ترى الناس يتفرون خوفاً وثقالا للشرق يبعون استخلاص قبر السيد المسيح من ايدي المسلمين الكلمة فاه بها رجل الكنيسة الاكبر ، ودعوة قام بها في عرض اوروبا احد الكهنة . وهذه صورة احد الفرسان الصليبيين في لباسه الحربي وعلمه الصليبي

فهرس الكتاب

الصفحة

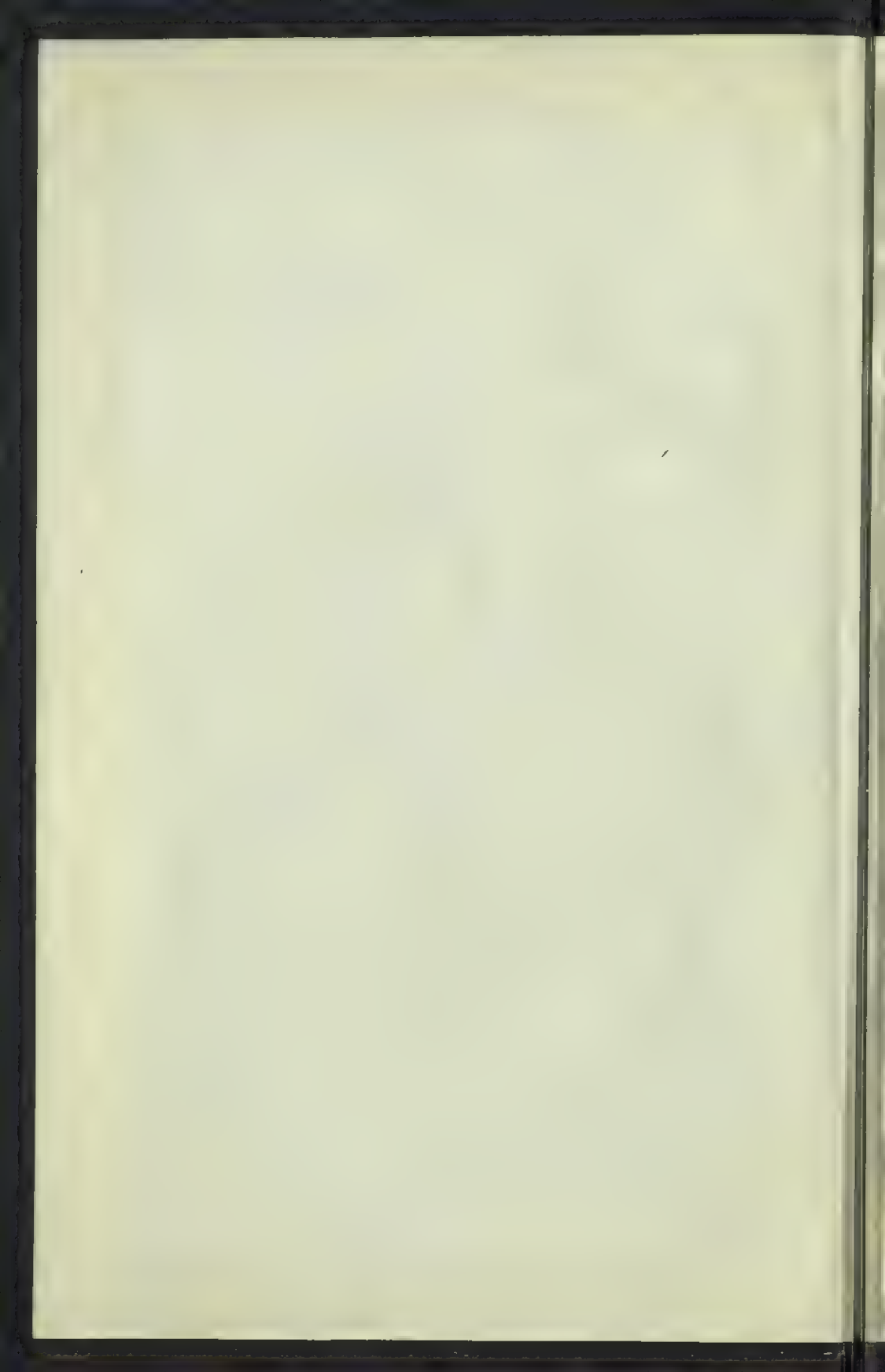
٢	الاهدا.
٣	مقدمة الكتاب
٥	الضجة حول كتاب سوريا ولبنان
٩	الفصل ١ - سوريا ولبنان في فجر التاريخ
١٢	الفصل ٢ - القطر السوري ، بحث جغرافي زراعي سياسي
١٧	الفصل ٣ - الفينيقيون في لبنان والسواحل
٢٠	الفصل ٤ - فينيقيا ، تجارتها ، لغتها
٢٣	الفصل ٥ - سوريا في عهد اليهود واشور وفارس
٢٧	الفصل ٦ - سوريا في عهد اليونان ٣٣٣ ق م - ٦٤ م
٣٠	الفصل ٧ - سوريا في عهد الرومان ٦٤ ق م - ٨٥ م
٣٣	الفصل ٨ - سوريا في عهد الدولة البزنطية ٣٩٥ ق م - ٦٣٤ م
٣٩	الفصل ٩ - الفتح العربي ٦٣٤ م
٤٤	الفصل ١٠ - سوريا في عهد الخلفاء الراشدين ٦٣٤ - ٧٥٠
٤٩	الفصل ١١ - سوريا في عهد الامويين (١) ٦٦٠ - ٧٥٠
٥٢	الفصل ١٢ - سوريا في عهد الامويين (٢) ٦٦٠ - ٧٥٠
٥٦	الفصل ١٣ - سوريا في عهد العباسيين ٧٥٠ - ٤٧٧
٥٩	الفصل ١٤ - تداول الدول والممالك ٩٧٧ - ١٠٩٨
٦٣	الفصل ١٥ - سوريا الافرنجية ١٠٩٨ - ١١٤٤
٦٦	الفصل ١٦ - المخطاط للمملكة الافرنجية في سوريا ١١٤٤ - ١٢٩١

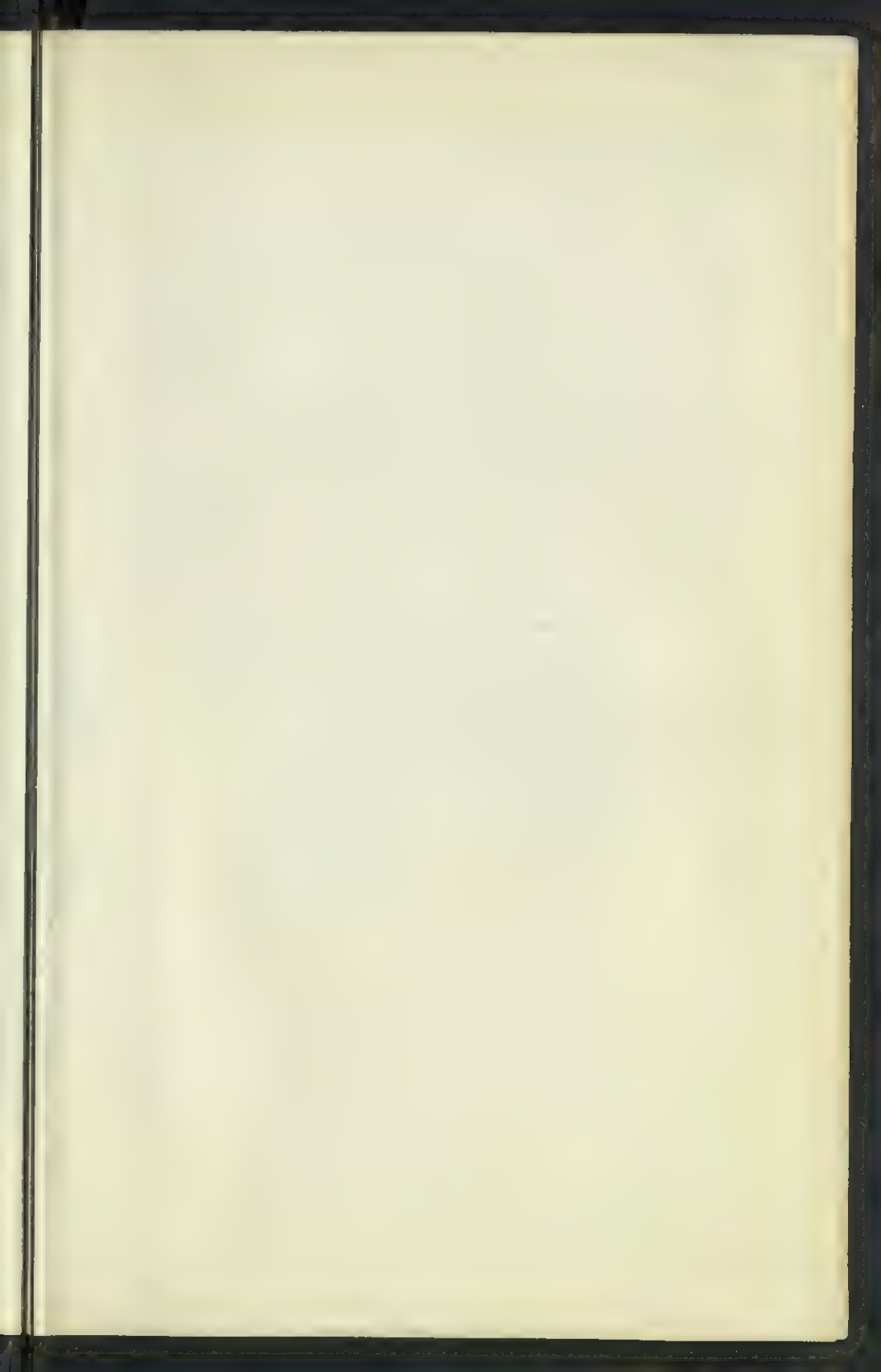
الصفحة

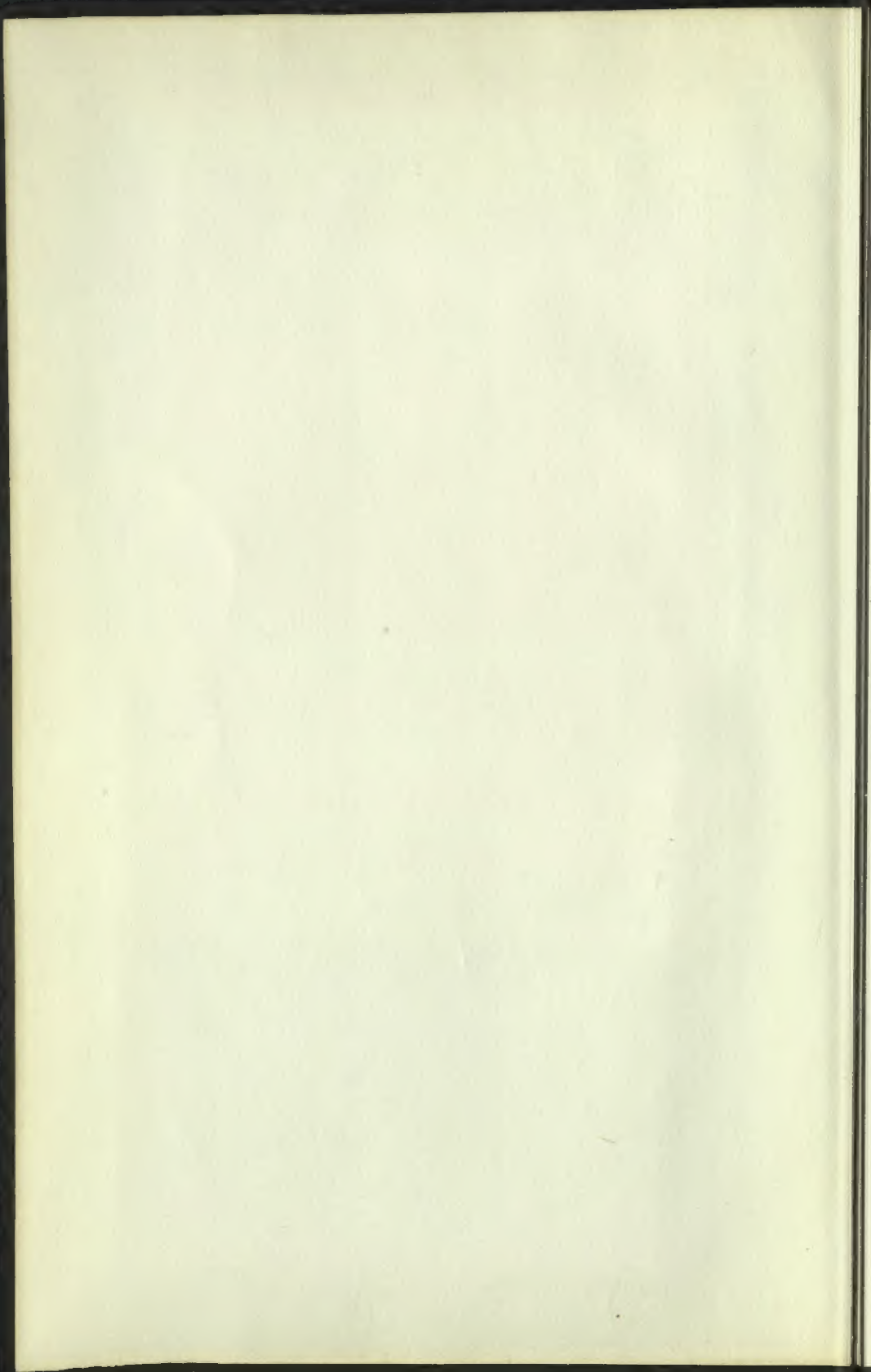
- ٦٩ الفصل ١٧ - سوريا في عهد المماليك (١) ١٢٥٢ - ١٥١٦
 ٧٣ الفصل ١٨ - سوريا في عهد المماليك (٢) ١٢٥٢ - ١٥١٦
 ٧٨ الفصل ١٩ - سوريا في عهد العثمانيين ١٥١٦ - ١٩١٨
 ٧٩ الفصل ٢٠ - سوريا ولبنان في القرن السادس عشر ١٦٠٠
 ٨٣ الفصل ٢١ - سوريا ولبنان في القرن السادس عشر والسابع عشر
 ٨٦ الفصل ٢٢ - سوريا في القرن الثامن عشر ١٨٠٠
 ٩١ الفصل ٢٣ - لبنان في القرن الثامن عشر

فصول في التاريخ العربي والاسلام

- ٩٧ الفصل ٢٤ - العرب في الجاهلية
 ١٠٦ الفصل ٢٥ - عصر الخلفاء الراشدين
 ١١٢ الفصل ٢٦ - الدولة الاموية العربية
 ١٢٤ الفصل ٢٧ - العباسيون في بغداد
 ١٣١ الفصل ٢٨ - الفاطميون ، والسلجوقيون ، والحروب الصليبية







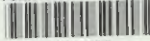


956.9:A162sA:c.1

ابو النصر، عمر

سورية ولبنان حتى اول القرن التاسع ع

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01056056

A.U.B. LIBRARY

956.9
A162sA

